

عمر التلمساني

ذكريات لا مذكرات

دار الاعتصام

ذكريات لا مذكرات

مقدمة

دار بخلدى من سنين أن أكتب مذكراتى وقد كان هذا المعنى يراودنى منذ سنة 1926 عندما بدأت أ، أدون ما مر بى من أحداث منذ ذلك العام الى حين نشر المذكرات مع ما يحضرنى مما مر بى قبل سنة 1926 كنت أدون الأحداث الداخلية والخارجية فى مفكرات (أجندات) وكنت أعتز بها وأجد فيها هواية تجذبني نحو أحداث العالم ما يختص بمصر وما يتعلق بغيرها ولكن لما فتشوا بيتى فى نوفمبر سنة 1954 أخذوا كل ما فيه من أوراق حتى تلك المذكرات وحتى ملفات الجنايات التى كنت أدرسها لأترافع فيها وظللت منذ ذلك التاريخ نزيل سجون عبد الناصر طوقت خلالها كل سجون المحافظات فى الوجه القبلى تقريبا ولما خرجت من السجن بعد استيفاء مدة العقوبة (15 سنة) مضافا اليها اعتقال فى مزرعة ليमान طره دام حوالى العامين حدث عندى عزوف عن الاسترسال فى هذه الهواية من الناحية النفسية ومن بعض الظروف التى تحيط بالموقف من جميع نواحيه .

هذا الى أن نظرتى الى مثل هذه المذكرات يجب أن تكون صادقة مع الأحداث لا مع وجهة نظر من يتولى كتابة مذكراته لأن الأمر أمر تاريخ والتاريخ إما أن يسرد فى صدق وأمانة وإما البعد عنه تحسبا من الخطأ والتضليل للأجيال القادمة إذا قرىء من ناحية واحدة . إذا أضفنا الى ذلك أن فى حياتى بعض ما لا يرضى المتشددى من الإخوان أو غيرهم كالرقص الأفرنجى والموسيقى وحبى للانطلاق فى حياتى بعيدا عن قيود التزمّت التى لم يأمر به دين من الأديان خاصة إسلامنا لالذى وصفه نبينا بما معناه أنه سمح لن يشاده أحد إلا غلبه وطلب منا الايغال فيه برفق لأن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى كنت أحجم دائما عن التعرض لكتابة المذكرات خاصة بعد أن خلت من يدى مراجعى الخاصة التى كتبت بها الأيام وأحداثها كما هى تماما ، وذات يوم زارنى فى مكتبى بمجلة الدعوة الأستاذ عصام غازى مندوب جريدة الشرق الأوسط فى القاهرة وتحدث معى فى كتابة مذكراتى فكان جوابى أننى لا أستطيع كتابة مذكرات صحيحة مطابقة للواقع لأن مرجعى سلب من بين يدي ولكنى إذا كتبت فسأكتب ذكرياتى أى ما يعلق بذهنى مما مر بى فى حياتى ومن المقطوع به أن الذاكرة ليست العماد الراسخ فى سرد الأحداث لأنها عرضة للخطأ حيناً وللنسيان أحيانا فقبل الرجل متفضلا ولما كنت أعرف أممثل هذا العمل يأخذ صاحبه مقابلا ماديا ولما كنت لا أريد أن أنزل بذكرياتى الى سوق المزايدة فاشترطت على المندوب أن يوضح توضيحا تاما أن ما أكتبه لم أتناول عليه ثمنا لأنه تاريخ والتاريخ لا ينزل الى عالم البيع والشراء لأنه ليس ملكا لفرد ولكنه حق أجيال قادمة لزاما علينا أن ننير لها الطريقى إباء الصدق وشمم الصراحة اللانق بكل ما يتعرض لمثل هذه الأمور ولرغبتي الصادقة فى تصحيح الخطأ والتذكير بما نسيته شاكرًا راضيا .

وقبل الرجل وأقدمت على لتدوين معتمدا على صاحب الفضل الأول والأخير جل جلاله معتصرا لذاكرة باضت عليها طيور الزمن وسكنها صغار الطير يرزقها الله إذ تغدو خماسا وتروح بطانا .

وحدث ما توقعت فقد غضب البعض لبعض ما كتبتّه عن خصوصياتى . والحق أنى راض عما كتبت ليعلّم الناس قاطبة أن الإخوان المسلمين بشر من البشر يعرض عليهم كل ما يعرض على غيرهم دون ادعاء بزهادة باطلة أو ورع مصطنع وأن الإخوان المسلمين

حلبوا أشطر الدهر فذاقوا حلوه ومره وأنهم إذ يدعون الى الله لا يدعون عن تعصب أو من بطن بوتقه عاشوا فيها بعيدا عن مجتمعهم بل إنهم يعرفون ما يعرف الناس وأنهم ليسوا أحلاف تعصب أو أنضاء تخلف عقلى أو اجتماعى .

أحببت ان أكتب هذه المقدمة لأسباب عدة منها مطالبتي كل قارئ أن يبادر الى تصحيح ما يراه من واقع خاطئه سببها اعتمادى - بعد الله طبعاً - على ذكرتى والذاكرة كثيرا ما تنسى والنسيان ليس بذنب فقد رفع الله به المسئولية عن المسلمين مع الخطأ والاكراه . ومن بين الأسباب استجابتي للكثيرين الذين طالبوا بجمع هذه الذكريات فى كتيب واحد ومن الأسباب اننى أحببت أن اعلن عن حقيقتى فى مختلف مراحل حياتى كما جاء فى الذكريات وأثبتته هنا للاكيد والتذكير . لم أخف شيئا إذ ليس فى حياتى ما أخجل من ذكره وطرحه على الناصية وإن خالفنى البعض فى هذا بحجة أن هذا يليق وهذا لا يليق ؟ والأمر فى نظرى ليس لياقة ولكنه أمر الصراحة التى يجب أن يتسم بها كل من تعرض لهذا الأمر حتى يعرف الناس ما لم يكونوا يعرفون وفوق هذا كله فإننى ألفت النظر بهذه المقدمة أننى كنت حريصا كل الحرص على شرح منهاج الاخوان المسلمين فى شتى نواحى النشاط الاقتصادى أو السياسى أو الاجتماعى علما وتربية وليعلم الخاص والعام أن للإخوان منهاجا وأنهم لا يتحدثون من فراغ وحرصت على أن أبين ما لهم من أثر فى حياة المجتمع المصرى بل والاسلامى كله هذا الأثر الذى لا ينكره إلا صاحب هوى لا يريد إلا طمس معالم كل مجهود إسلامى وخاصة إذا كان هذا المجهود إخوانيا محضا .

ويعلم الجميع أن الصحف تدفع المقابل لهذه الذكريات فأردت أن أظهر طابع الإخوان فى مثل هذه المناسبات وأنهم لا يتاجرون بالتاريخ ولا ينزلون به الى سوق المبيعات والمشتريات وإن كان هذا الكتيب يباع بثمن فما هى إلا تغطية نفقات الورق والطبع والنشر والتوزيع وعلى القارئ أن يلاحظ بدقة أننى لم أتعرض لخلافات أو غيرها حدثت داخل الجماعة لأنها أمور وقعت وانقضت ولا مصلحة لأحد فى نبشها وإخراجها من مثواها لتكون محل نقاش من جديد .

لقد ران التعظيم الاعلامى على الإخوان من سنة 1980 فأحببت أن أعيد الناس الى التذكير بهذه الجماعة الطاهرة التى اجتمعت كل القوى المعادية للإسلام على مهاجمتها والتشهير بها بغير الحق محاولة أن تحد من نشاطها فى ميدان الدعوة الاسلامية وكانت إرادة الله فوق كل إرادة فما من محنة حلت بهذه الجماعة إلا خرجت منها أصلب عودا وأكثر عددا وأصدق عزما وأصفى نية على مواصلة العمل فى سبيل الله ولا أتجاوز الحقيقة كثيرا إذا قلت إن هذه المحن عرفت الناس بهذه الجماعة المخلصة الخالصة على أوسع نطاق وبأكبر مما كان يمكن أن يعرف الناس بها وعنهما

عداي لهم فضل علي ومنة	فلا أبعد الله عني الأعدايا
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها	وهم نافسوني فاجتنبت المعاليا

وهكذا فشلت جميع خصوم هذه الدعوة فى إخفاء نورها وصرف الناس عنها بعد أن تكسرت النصال على النصال فلم يعد لسهم منفذ الى صميم هذه الدعوة التى ستبقى ما بقى الوجود بفضل الله ومعونته لأنها دعوة من أجله وفى سبيله وابتغاء مرضاته . هذه الذكريات منهاج إخوانى وجهاز إعلامى يستطيع القارئ معه أن يعرف الكثير مما لم يكن يعرفه عن الإخوان المسلمين ومدى نشاطهم وما إذا كان لهم منهاج

أو ليس لهم كما حرصت على البعد عن الشخصيات كى لا أدخل فى نقاش مع أحد فى مسائل لا جدوى من ورائها على أى حال . ولولا ألحاح الكثيرين على نشر هذه الذكريات ما عنيت بها خاصة وأنها كتبت على عجل ودون مراجع أو مراجعة وأسأل الله أن يكون فيها من النفع ما انعقدت عليه النية والله من وراء القصد .

عمر التلمسانى

الحلقة الأولى

* صليت فى السينما وتعلمت العزف على العود وفشلت كشاعر .

* جدى كان رجل علم وحصل على الباشوية من السلطان عبد الحميد .

يفتح الأستاذ " عمر التلمسانى " المرشد العام للإخوان المسلمين سجل ذكرياته يروى شهادته حول الدعوة والدعاة والأحداث التى هزت العالم الإسلامى كله خلال الأعوام الخمسين الماضية . إن الشيخ الجليل الذى يتزعم أهم منظمة شعبية إسلامية فى التاريخ الحديث والذى ينهى العقد الثامن من عمره الحافل فى الرابع من نوفمبر (تشرين الثانى) 1948 بعد صياغة تاريخ جماعة الإخوان المسلمين كما عاصروه حلما ودعوة وكفاحا وسجنا لمدة ثمانية عشر عاما فيحكى لقاءه الأول بالامام الشهيد " حسن البنا " فى بيته المتواضع فى المغربلين ومبايعته له فى العام 1932م ويروى كيف نشأت الجماعة والأطر الفكرية والعقائدية التى التزمتها طوال مسيرتها والمعارك التى خاضتها من أجل إظهار الدعوة ونشر العقيدة .. كما يسلط الأضواء على " النظام الخاص " التنظيم السرى للجماعة .. وممارساته ووسائل تمويله وتسليحه .. وعلاقة الإخوان بالسعديين والوفد ومصر الفتاة والضباط الأحرار قبل وبعد 23 يوليو (تموز) 1952 وصراعه مع عبد الناصر والسادات .

وقد رفض المرشد العام للإخوان المسلمين أن يتقاضى حقه فى ثمن : " المذكرات " من " الشرق الأوسط " معلنا أنه " لن يتاجر أبدا بتاريخ الإخوان المسلمين " وقبلت " الشرق الأوسط " هديته إليها بالامتنان والتقدير . وقد أعد حلقات المذكرات للنشر عصام الغازى .

سيرة ذاتية

فى الحلقة الأولى يسلط الأضواء على طفولته وشبابه ويؤكد أنه كان إنسانا عاديا أقبل على الحياة بكل مباهجها مثله مثل كل أبناء الطبقة الغنية .. فيقول تعلمت الرقص الأفرنجى فى صالات عماد الدين وكان تعليم الرقصة الواحدة فى مقابل ثلاث جنيهات فتعلمت الدن سيت والفوكس تروث والشارلستون والتانجو وتعلمت العزف على العود "

كما يقول إن له محاولات فى كتابة الشعر والأدب ولكنه يؤكد أنه لم ينجح الى المعصية فى حياته لأسباب كان من أهمها زواجه المبكر والوازع الدينى الذى كان يملأ روحه ووجدانه .

* يقول " عمر التلمسانى " :

من أنا ؟

مواطن مسلم مصرى على وشك أن يتم الثمانين من عمره فى هذه الحياة ولدت فى القاهرة حارة حوش قدم فى الغورية قسم الدرب الأحمر - فى 4 نوفمبر (تشرين الثانى) 1904 - فى حى قديم بكل معنى القدم قديم فى هندسة مبانيه فى ضيق الحوارى واتساع الغرف بشكل غير مألوف .. الحمامات تسخن مياهها خارجها - بما يشبه سخانات اليوم الكهربائية والبوتاجازية - و " الليوان " خارج الحمام

مباشرة لتستريح فيه قليلا قبل أن تخرج الى الشقة ذاتها مساحة المنزل ثمانمائة متر مربع شقة واحدة . فى الشقة والحوش والسطح ثمانية حمامات بدورات مياهها بعضها بالرخام وبعضها بالبلاط العادى .

وما أن بلغت الثالثة من عمرى حتى رحلت العائلة .. جدى وأبى ومن معهما الى العزبة - فى قرية نوى مركز شبين القناطر من أعمال مديرية القليوبية - قبل أن تسمى محافظة - بينها وبين القاهرة حوالى الاثني والعشرين كيلوا مترا فيها محطة للقطارات وكانت القطارات فى تلك الأيام غاية فى النظافة ومتوفر بها كل وسائل الراحة من الدرجة الثالثة الى الثانية الى الأولى ..

بدأت أتبين ما حولى فى الرابعة من عمرى فإذا بالمسكن الذى نقيم فيه - يسمونه (السراية) - جدى يسكن شقتين بزوجتيه وأبى يشغل شقتين بزوجتيه أمى وضرتها فى شقتين متقابلتين وعمى يشغل شقة بزوجة واحدة لأنه لم يكن بعد قد ملك من أمره شيئا .

سراية ضخمة

فى السراية أربع جوار " حسيبة وبرلة وسعيدة وبخيته " وثلاثة عبيد " سرور وريحان وتحسين " ويتبع السراية مطبخ يعمل فيه طبخ ومرمطون و" عربية خانة " للعربة ذات الحصان الواحد ويعمل عليها العربى والسايس وفى المؤخرة زريبة للمواشى بها ثور وشمبرى وبقرة وجاموستان وجمالان وثلاثة حمير يعمل عليها الكلاف ومساعدته . وتحيط بالسراية خمسة فدادين موالح بها برتقال واليوسفى والمانجو والعنب والبلح بأنواعه والمشملة والموز والتفاح والسفرجل والليمون الحلو والمالح والمشمش والبرقوق والعناب وعلى وجه التقريب كل أنواع الفواكه التى كانت معروفة حين ذاك " منذ أكثر من سبعين عاما " .

وكان فى حرم السراية حديقة للزهور بها الورد بأنواعه والسوسن والياسمين والفل المجوز والمفرد والأرولة والجارونيا والقرنفل والعطر ويقوم على رعايتها الجانيى .

كانت ثروة الجد " عبد القادر باشا التلمسانى " ثلاثمائة فان منها مائة وثمانون فى قرية نوى قليوبية ومائة وعشرون فى قرية المجازر شرقية - وسبعة منازل فى بعض أنحاء القاهرة - فى منشية الصدر وحى العشماوى فى شارع عبد العزيز بالقرب من العتبة الخضراء - كانت أوامر الجد " همايونىة " لا يجرؤ أحد على مخالفتها وإلا كان نصيبه " الفلقة والخيرزانة " .

وكان سبب الانعام بالباشوية على الجد من السلطان عبد الحميد لأن جدى اعتاد فى أواخر أيام الحج أن يجمع كل من عجز ماليا عن العودة الى بلاده من جنوب آسيا وأندونيسيا فقط ويستأجر لهم من المراكب ما يوصلهم الى بلادهم . وحقا كان الجد سخيا حتى أنه كان كل يوم سبت من كل أسبوع وهو يوم السوق فى قرية نوى يشتري من اللحم ما يكفى لإعداد وجبة عشاء لكل فلاحى العزبة ويجلس بينهم يتناول طعام العشاء معهم حتى ينتهى العشاء وتعود الأوضاع الى حالتها .

فإننى أقول إن عائلتنا أصلا من الجزائر من بلد اسمها تلمسان " وهذا سر اللقب " فلما دخل الفرنسيون الجزائر كانت تلمسان آخر بلد احتلوا بعد أن دافع أهلها عنها دفاع المستميت حتى اعترف الفرنسيون بهذه البطولة .. فأفردوا فى متحف " اللوفر " فى باريس جناحا خاصا فيه كل الأسلحة التى دافع بها التلمسانيون عن بلادهم حتى آخر لحظة من قدراتهم .

فى تلك السنة (1830 ميلادية) هاجر جد أبى ومعهم عائلته الى مصر واشتغلوا بتجارة الحبوب والأقمشة بين مصر والخرطوم وسنغافورة ثم لما وصل الأمر الى جدى صفى أعماله التجارية واقتصر فى دخله على العزبتين والمنازل التى فى القاهرة .

الينابيع الأولى

كان الجد من أتباع " محمد بن عبد الوهاب " وقد طبع كثيرا من كتب الوهابيين على نفقته الخاصة ومنها ما هو موجود فى مكتبات الحكومة السعودية . وكان عالما يلبس العمامة كل أصدقائه من علماء الأزهر من أمثال المرحوم الشيخ " إمام السقا " .

وكان كثيرا ما يدعو هؤلاء العلماء لقضاء يوم بزهائه في العزبة فإذا جاء موعد القطار الذي يقلهم من القاهرة يستقبلهم على المزلقان الذي يمر عليه القطار .. وكان حاضرا لبديهة فغدا ما جاءوا جميعا استقبلهم بقوله : " ما شاء الله ! آتونى بأهلكم أجمعين . ألا يعتذر واحدا منكم ولو مرة ! " فإذا مر بهم بعض الأوز أو البط أو الديكة الرومية صاح في الدجاج : " لا تلقوا بأيديكم الى التهلكة " . حتى إذا ما انتهت فترة الاستقبال بدأت المناقشات العلمية واحتدت حتى ليخيل للسامعين أنهم على وشك الاشتباك بالأيدى من حدة المجادلة والتمسك بالرأى حتى إذا ما حان وقت الغداء صفا الجو واختفت حدة المناقشات وحلت الابتسامات والقفشات كأنه لم يكن هناك شيء بالمرّة وكان يطيب لى أن أشهد تلك الجلسات وأصغى لتلك المناقشات حتى تكونت لدى الانعطافات والميل الى علوم الدين والوقوف على الكثير مما لم يتوفر لأترابى بل لأخوى اللذين يكبرانى فى السن وبدا ذهابى الى الكتاب فى القرية " كتاب سيدى على " ويقوم بالاشراف عليه المرحوم " الشيخ عبد العزيز القلماوى " والمرحوم الشيخ " أحمد الرفاعى " من أهل قرية نوى " .

كنت مواظبا على الحفظ وكنت أحب العلم للعلم خاصة ما تعلق منه بأمور الدين نشأت فى العزبة فأحببت الريف وحياة الفلاحين حبا ملك على كل عواطفى استحمت فى الترفة وسبب لى ذلك مرض البلهارسيا الذى عانيت وما زلت أعانى منه كثيرا . كنت أنزل الى بطن الساقية على القواديس وأصبح فيها كذلك وإن كنت قد نسيت كثيرا من قواعد السباحة . كنت أيام " دراس القمح " أسوق النوارج وأنام على رمية القمح كنت أركب الخيل بلا سرج وأطلق لها العنان فى رمال كانت بالقرب من العزبة .

كنت أعشق كل ما فى الريف : الشجر .. الطير .. البساطة . أصبح وأنا بمفردى ليلا فى عالم لا أدرى ما هو وتمسكا بالصدق ما كنت أصبح فى ذلك الجو مسبحا أو مفكرا أو متديرا ولكنى أهيى فى جو لا أدرى ماهو ما مبتداه وما منتهاه لماذا أهيى فى ملكوته ؟ لماذا أعشق ذلك المجهول الذى كنت مدله فيها ؟ لماذا هذا " السرحان " الذى كنت أتوه بين لا نهائيته ؟ لست أدرى لكنى كنت به سعيدا كل السعادة . كنت عاشقا لمن أو لماذا ؟ لست أدرى . هل كنت خياليا وهل كنت واهما ؟ هل كنت مصابا بنوع من أنواع الأمراض النفسية ؟ كنت أحس فى تلك اللحظات بأنى أستطيع أن أطير بلا جناحين فى أجواز الفضاء أطير بغير ما هدف !.

حب الطيران

أين تذهب بى أجنحتى أين يستقر بى مقامى ؟ والى أى مدى أرتفع عن سطح هذه الأرض ؟ كل ذلك ما كان يشغل بالى ولكن الذى كان يستهوينى أنى كنت أحب أن أطير وقد بلغ بى هذا الهوى حد مزاولته فى عالم الاحلام ربما الى اليوم . فأننا فى النوم كثيرا ما أطير ولا تدهش إذا قلت لك إن رحلاتى الى أوروبا وأمريكا وآسيا فى سبيل الدعوة الاسلامية بلغت عشرات العشرات بلا سامة ولا ملل .. طيران يسلمنى الى طيران وطائرة تحملنى الى غيرها رغم ما بلغت من العمر ورغم تحالف الأمراض على هذا الجسد الذى باضت عليه صقور الدهر وأفرخت نسوره . وكما أتمنى حتى هذه اللحظة أن أعود لأحيا فى الريف بين أحضان السكون الغامر والليل الساجى مع النجم الساهر وصيحة الديكة فى الفجر الباكر وزقزقة العصافير التى تبدأ فرادى كأنما يوقظ بعضها بعضا حتى إذا استيقظت كلها راحت تعزف ترنيمة الصباح مسبحة بحمد المبدع العلام الذى جعلها تغدو خماسا وتروح بطانا . ولو أن البشر استمعوا الى هذا الدرس الذى تطالعه بهم الطير كل صباح لعاشت الدنيا فى أمن وافر وسلام غامر ولكن لذلك خلقهم بحكمة اقتضت ما عليه وما كان لنا ان نناقش ربنا الحساب فهو ا لذى خلق وهو الأعلم بما يصلح لما خلق وكل الذى علينا أن يعود كل منا الى تعاليم دينه فينفذ منها الأمر ويتجنب النهى .

وعابث وطائش وغافل ومتطفل من يحاول بعقله المحدود معرفة حكمة الذى برأه وسواه وإرادته ومشينته فى قضائه وقدره ولست أهضم اشتغال الناس بأمور لا تنقص من إسلامهم ولا تزيد إذا تركوها لحكمة مصرف الأكوان . تستطيع أن تقول إننى كنت رومانيا ولا أزال . أحب الأدب الخلقى والفنى وأعيش فى الحياة ..

فشل فنى

لست ميالا إلى الجدل وكثيرا ما كنت أتركه إذا ما رأيت في محدثي ميلا إليه رغم وضوح الحق في موضوع الجدل . أحب الجمال في كل شيء في الابداع التكويني للبشر .. في جمال الطير وتحليقه في رقة الغزال ونحافة سيقانه .. في صبر الأفيال في بريق عيني الأسد والنمور في خريز الماء في حفيف أوراق الشجر في القطار يمضي وكان الأرض هي التي تطوى وليس هو الذي يطويها في كل شيء جميل يمكن أن يخطر في بال إنسان . ورغم أني وعيت الدنيا فوجدتني أصلى وأصوم ورغم بدء حفظي للقرآن وبعض الأحاديث والكتب الدينية في سن ما أظن حدثا أو يافعا مارسها فيه فقد كانت تستهويني بأعمال البطولة وحماية الشرف والعشق والهيام .. فقرأت أول ما قرأت كتب أبي زيد الهلالي سلامة وقرأت عن عنتر بن شداد وسيف بن ذي يزن . ثم تدرجت الى قراءة كل روايات " اسكندر ديماس " وابنه وتعرفت الى ابطال قصصه الذين كانت شجاعتهم والدفاع عن معشوقاتهم تملك على كل أوقاتي في شهور الأجازة . وقرأت الأرضلأميل زولا فلم تنل مني اهتماما لوقاحتها وخروجها عن حيز الذوق واللياقة رغم الطنطنة التي أثيرت حولها . قرأت البؤساء وكل ما كتبه المنفلوطي وبكيت بحرارة مع مآسيه كنت نهما في القراءة ورغم كل هذا العشق للأدب لم أستطع أن أكون أديبا أو موسيقيا رغم حبي للموسيقى وعزفي على العود لسنين ولم أستطع أن أكون شاعرا رغم كل محاولاتى الفاشلة وعرضت ما أكتب من الشعر على بعض الشعراء فقالوا لي أن ما تكتبه كلام مسجوع في أبيات وليس شعرا . وكان آخر بيت شعر كتبتة :

خضعت لوحى قريحتي الأشعار ورننت إليها الغرد الأطيّار

ومن هذا البيت تستطيع أن تحكم إن كان شعرا أو تخريفا .. فكففت . ولسبب لا أدريه صرفنى الله عن كل هذه المحاولات الفنية التي فشلت فيها فشلا لا مثيل له إن لم تكن مثالا للهزال الفني أو الفن الهزيل السخيف . وأقبلت على لقراءات الدينية فقرأت تفسير الزمخشري وابن كثير والقرطبي وسيرة ابن هشام وغيرها من السير قرأت أسد الغابة والطبقات الكبرى ونهج البلاغة والأمالى والعقد الفريد لابن عبد ربه والعقد الفريد لابن سيده والبخارى ومسلم . ز من الجلدة الى الجلدة ورغم كل ذلك فإني أومن بأن ما قرأته قطرة من بحر لا تروى الظما . الشيء الوحيد الذى استفدته من وراء كل هذه المعاناه أنني أعرف للناس أقدارها فلم أمس إنسانا بقلمي ولا بلسانى حتى الذين هاجموني ونالوا مني لخلافي معهم فى الراى .

صليت فى السينما

ولأنى احترم رأى ونفسى فقد كنت أحترم رأى الغير وشخصياتهم والتزمت جانب الموضوعية فى ما أكتب مع تمسكى برأى الذى اقتنع به مهما كلفنى ذلك وقد قاسيت وما زلت أقاسى من هذا الكثير والكثير حبسا وإيذاء فلم ولن أنصرف عما أخذت نفسى من الحق ابتغاء وجه الله . إنه عقيدة سرت مسرى الدم فى العروق والشرابين وزادها تعميقا أنني نشأت فى بيت رأيت كل من فيه يصلى ويصوم رجالا ونساءس فتينا وفتيات حتى أنني لا أستطيع أن أتذكر متى صمت ومتى بدأت أصلى ولكننى لما تفتحت الدنيا أمام عيني وذهنى وجدتني أصوم وأصلى ولا أذكر أنه فاتنى فرض من وقتها الى الآن . حتى أنني لما كنت أباشر عملى كمحام وأنزل يوم الجمعة لأحضر بعض الأفلام السينمائية وكنت انتهاز فرصة الاستراحة (الانتراكات) لأصلى الظهر والعصر مجموعين مقصورين فى أحد أركان السينما التى أكون فيها . كنت أرى بعض الناس إذا كان على موعد للذهاب الى إحدى دور السينما أو المسرح اعتذر لمن معه فى المجلس عن البقاء وطلب الانصراف لأمر مهم . أما أنا فما كنت أخرج من الاعتذار بسبب الذهاب الى السينما فإذا تعجب الحاضرون أو غضبوا فإن ردى الوحيد الدائم : إن الله يعلم الى أين أذهب فكيف لا أخشى الله ثم أخشى الناس والله أحق أن أخشاه خاصة وأن ما أفعله ليس حراما وإن دخل فى دائرة المكروه .

هكذا كانت طفولتي هادئة سعيدة ميسرة كل ما أطلبه في متناول يدي. كان لجدي سبعة من الأبناء هم رجلان وخمس سيدات أما أبي فتوفي عن سبعة عشر ثمانية ذكور وتسع إناث وكنت موضع الحب الأول عند أبي لأني أنجح سنة بعد سنة دون رسوب أما أخوأي اللذان يكبرانني فقد زهدا في التعليم واشتغلا بالتجارة وحتى هذه لم يفلحا فيها . وكان بعض المدرسين من أصدقاء الوالد يحاولون مساعدتي بدروس خاصة ثم يرون أنني لست في حاجة الى شيء من ذلك بالمرّة . إذ نجحت من أولى ثانوي الى ثانية ثانوي أذاكر كل دروس سنة تالية في الأجازة : الدروس النظرية .. التاريخ والجغرافيا والأشياء واللغة وما إليها ولذلك ما كنت أجد كبير معاناه في متابعة المدرسين طوال العام . وكان ترتيبى في الفصل لا يقل عن الثالث وإن لم أفز بأولوية أبدا . وكان مدرس اللغة الإنجليزية " مستر جاكسون " إذا سأل طلبة الفصل عن معنى كلمة عقب على السؤال بقوله ما عدا " معرية والبشرى والتلمساني " فقد كان يعلم أن ثلاثتنا نستذكر دروسنا تماما .

كنت أقرأ جريدة " المقطم وأنا في سن العاشرة وأتابع أحداث الحرب العالمية الأولى في شغف وكنت أرجو أن يهزم الانجليز لتتخلص مصر من الاستعمار البريطاني وما شاهده في ذلك الحين من تصرفات تعسفية للمندوب السامي البريطاني . كما كانوا يسمونه . كانت الأوامر تصدر من المندوب السامي الى رئيس الوزارة فإذا بنا نرى الرجال تساق رغم أنفها الى العمل في الجيش البريطاني . وكانت الجمال والحمر تجمع بالقوة وكذلك القمح والذرة بنائمان زهيدة وبالإكراه فتولدت لدى جيلنا كراهية الحكم البريطاني وما أن انتهت الحرب العالمية الأولى حتى هب الشعب بثورته عام 1919 وما زالت تلك العوامل تتفاعل في نفوس المصريين حتى انتهت بخروج الانجليز من مصر نهائيا عام 1956 . بموجب اتفاقية عام 1954 . وبدأت مرحلة الدراسة الثانوية . فالتحقت بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية ثم بمدرسة الرشاد الثانوية والالهامية الثانوية بالحلمية.

بيت بلا نوافذ

بعد وفاة الجد انتقل أبي وزوجته وبنوه الى بيتنا في حارة " خوش قدم " ، عطفة السكرى رقم 7 وكما سبق القول كان المسكن غاية في الاتساع والشئ العجيب في هذا المنزل الذي تبلغ مساحته ثمانمائة متر مربع أنه ليس فيه نافذة واحدة تطل على خارج المنزل كل نافذة كانت تطل على الحوش الواسع .

كان السبب في تنقل بين المدارس الثانوية الثلاث موقفا حدث عندما كنت في السنة الأولى بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية إذ حدثت شوشرة بالفصل خلال الفسحة فحضر ضابط المدرسة وانتهرنا وطلب الصمت الكامل وأخذ يمر بين المقاعد فرأى طالبا اسمه " محمد على سالم " يتحرك فجذبه من بدلته فسال الحبر على ملابسه وعز على هذا المنظر وما كنت أعلم عن حالة هذا الطالب المالية شيئا وإن كان قد دخل مدرسة البوليس وترقى في مراتبها حتى المعاش ولكني رأيت حالة ظلم فلم أقو على السكوت فالتفت الى الضابط صانحا : ما هذا الظلم ؟ .. فطلب منى مغادرة الفصل فأبيت فجذبني من ملابسي وكان أقوى طبعاً فلم أكن إلا يافعا وكان هو مكتمل الرجولة وأخرجني من الفصل بالقوة ثم تركني على الباب وذهبا الى الدرج الذى به كتبى وكراساتى وقذفتى بها فتناولتها وقذفته بها وظللنا حوالى الدقيقة نتقاذف بالكتب حتى ضاق بى ذرعا فأمسك بى وجرنى جرا الى ناظر المدرسة وكان اسمه " كرارة أفندى " فطلب منى ناظر المدرسة أنأخرج وأستحضر ولى أمرى معى فى الغد وذهبت الى والدى وقصصت عليه ما حدث وصممت ألا أعود الى هذه المدرسة أبدا .

ولم يرغمنى فأكملت السنة الأولى فى مدرسة الرشاد الثانوية وهى مدرسة أهلية فى شارع درب الجمايز ولم تكن الدراسة بها منتظمة شأن المدارس الأهلية فى ذلك العهد وفى بدأ العام الدراسى التالى التحقت بالمدرسة الالهامية الثانوية وكانت تابعة للخاصة الملكية . وفى نهاية العام حصلت على الكفاءة وانتظمت فى هذه المدرسة حتى حصلت على البكالوريا قسم أدبى . وكان الناجحون على مستوى القطر - عام 1924 - فى البكا لوريا سبعمائة وسبعين طالبا كان ترتيبى من بينهم الواحد والسبعين .

التحقت بالقسم الأدبي لأنى كنت أضيع بالحساب والهندسة ضيقا شديدا وظللت الى يومى هذا لا أحب أن يناقشنى أحد الحساب .. ذلك لأنى - والله على ما أقول شهيد - ما كلفنى أحد بعمل وقبلت التكليف إلا وأعطيت العمل كل طاقاتى وقدراتى البشرية مستعينا بالله وما كانت نتيجة التكليف تهمنى كثيرا ما دمت قد أديت الواجب فيما عهد الى من عمل وكنت أجد فى ذلك راحة نفسية لا حد لها لأن الله سبحانه وتعالى كلفنا بالعمل فقط ولم يكلفنا بتحقيق النتائج رحمه منه بعبادة .

اعتزال الملاكمة مبكرا

وفى مدرسة الالهامية بدأ شبابى وبدأ اهتمامى بمظهرى كما كنت مهتما بمخبرى فكان الحذاء دائم اللمعان والبنطلون كأنه خارج من تحت المكواه ذلك لأنى إذا عدت من المدرسة آخر النهار جلست فى غرفتى الخاصة وأخذت أنظف حذائى بالورنيش وأبغ البنطلون بشيء من الماء وأضعه بين مرتبتى السرير محافظة على استقامته وما عرفت فى المدرسة الثانوية شقاوة الشباب فلا أجرى كما يجرون وراء بعضهم بعضا ولا ألعب الكرة بحذائى وحاولت أن أتعلم الملاكمة ولكن معلمى إياها ضربنى " بوكسا " جعلنى أعتزلها الى الأبد ودخلت الكشافة المدرسية لكنى سئمتها ولم أباشر أى نوع من أنواع الرياضة طوال دراستى الثانوية رغم اهتمامى بالأنباء الرياضية الداخلية منها والخارجية .

طوال دراستى الثانوية كنت تحت رقابة والدى وكانت رقابة دقيقة وشديدة . كان يعلم أن الحصة الأخيرة تنتهى الساعة كذا . والمسافة بين الحلمية حيث تقيم تستغرق كذا دقيقة فلا بد إذن أن أكون الساعة كذا داخلا من بوابة المنزل لأجده جالسا فى السلام والساعة فى يده . فأقبل اليد الكريمة وأصعد الى غرفتى . والويل كل الويل لى لو تأخرت عن الموعد المعتاد خمس دقائق أسمع من التفرع والتأنيب ما لا أستطيع معه أن أعترض أو أدفع أو أشرح . رغم ذلك فقد كنت سعيدا بهذه المعاملة التى كنت أشعر من ورائها بحب أبوى غامر تمنعه التقاليد أن يقول لأبنه إنه يحبه فلم يكن مستساغا فى ذلك الحين فالأب أب والإبن ابن ولكل منهما موضعه التقليدى مهما كان أحدهما يحب الآخر .

إنه كان ينتظرنى بالدقيقة إشفافا على أن أتأخر بسبب حادث كانت لمعة الراحة تلمع فى عينيه لمجرد رؤيتى عائدا فى موعدى إنه ما كان يخشى على الانحراف لأنه يعهد فى ابنه عمر استقامة وجدية وإقبالا على الدراسة . وسواء أصحت فراسته فى أو لم تصح فقد كانت هذه عاطفته نحوى وخوفه على .

وأذكر أنه عقب ظهور نتيجة البكالوريا سنة 1924 أرسل الكثير من الطلبة الراسبين عدة شكاوى الى الأهرام فنشرت شكاواهم وطلبت من زملائهم أن يقروهم أو ينكروا عليهم فأرسلت ردا الى الأهرام نشر قلت فيه : إن إمتحان اللغة الإنجليزية لم يكن صعبا ولكنه كان طويلا .

وما أن رأى أبى اسم ابنه ينشر فى الأهرام حتى استطار من الفرح وأمسك بالأهرام يعرضه على كل من يعرف مفاخرها فى صورة اللائم قائلا : شوف الولد العكروت كاتب إيه فى الأهرام وكأنه يريد أن يقول لمن يقرأ الخبر : ابنى أصبح يكتب فى الصحف كان يحبنى فعلا ولكنه لم يمتعنى بكلمة الحب يوما .

الحلقة الثانية

* حرمت زوجتى عشرة أعوام من رؤيتى حتى لا يراها السجان!

* أنا وفدى قديم وسقطت عدة مرات كمرشح للإخوان .

* المرأة التي تؤمن بمساواتها بالرجل تفقد أنوثتها .

* الحزبية في صورتها الحاضرة نسخة مريرة في عالم الديمقراطية

" في الحلقة الماضية حاول الأستاذ عمر التلمساني " المرشد العام للإخوان المسلمين أن يؤكد على حقيقة هامة خلال تسجيله لمراحل حياته المبكرة .. أنه لم يكن طارزا خاصا من الشباب انفراد مع رفيقه من الرعيل الأول من الاخوان المسلمين بإدارة ا لظهر للحياة الدنيا والتطلع فقط الى الحياة الآخرة إنما هو مثل كل البشر يتطلع بالحب الى دنياه ينهل من مباحها ما حلله الله له دون تماد أو إفراط فلم ينكر على نفسه أن غشى في صباه ملاهى وصلات عماد الدين حيث شارك الذين يضحكون ضحكهم والذين يرقصون رقصهم لكنه توقف عند هذا الحد حتى أنه أثار دهشة الفتيات اللاتي شاركنه المرحلة لإحجامه عن التمداد فيما ذهب اليه غيره في مثل ه العلاقات متعاط للخم والزنا المغلف بالعواطف الكاذبة .

في حياة الشيخ عمر امرأة واحدة أحبها من سويداء قلبه وهام بها عشقا وكان متطرفا في غيرته عليها الى درجة جعلته يمنعها من سماع أغنيات الموسيقى " رياض السنباطي " لشغفها بألحانه بل إنه ذهب الى أكثر من ذلك بأن حرمها من أن تزوره في السجن عشر سنوات كاملة حتى لا يراها ضباط السجن ورفاقه من المسجونين عند زيارتها له !

تري من هي هذه الحبيبة التي ما زالت تستأثر على قلب هذا الشيخ ابن الثمانين وتثير شجونه ؟

قصه زواج عجيبة

يقول " عمر التلمساني " :

في السنة الرابعة الثانوية فكر أبي أن يزوجني ليحفظ على نصف ديني كان لي أخوان أكبر مني فلم يفكر في زواجهما ولكنه فكر في زواجي أنا لأنني كنت أثيرا عنده وأقرب الى قلبه من غيري . وكانت قصة زواج عجيبة .

مما قرأت فهمت أنه من حق أن أختار شريكة حياتي وأن أختارها دون وساطة في هذا الاختيار ولكني كنت واهما وكان الواقع أبعد أثرا وأعمق فاعليه من الأوهام والقراءات والتصورات .

ففي يوم بعد عودتي من المدرسة قالت لي والدتي : إن أبك طلب مني أن أخبرك أن تذهب الى منزل الشيخ " فلان " بعد صلاة مغرب الغد فسألته ألا تعرفين السبب يا أمي ؟ قالت : إنهم سيكتبون كتابك على ابنة الشيخ الذي ستذهب الى منزله بعد مغرب الغد .

وللحق كان للخبر وقع طيب على نفسي لأنني كنت في سن العشرين وكان نداء الطبيعة يناديني بقضاء لبنات وحانت الفرصة وفي الحلال ولكن تمر الشباب في داخلي وتسلط فكرية حرية الاختيار جعلاني أبدو في صورة الثائر - الثائر أمام أمي فقط ! ، فقلت لها في عنفوان :

إنني لن أذهب ولن أتزوج إلا من التي أختارها بنفسى . فردت قائلة :

لا شأن لي بهذه اللخبطة التي تتحدث بها وسأخبر أبك بهذا الخروج على طاعته ليتدبر الأمر .

وجاء أبي فأخبرته أمي بما كان مني فقابل الأمر بهدوء كامل وقال لها : " إن شاء الله ما عنه راح . أنا حببت أعمله راجل وأجلسه مع الرجال . سأزوجه رغم أنفه فانا ولي أمره وسيكتب الكتاب هذه الليلة " .

غيرة زوجية

أخبرتني والدتي بما حدث ولما كنت أعرف إصرار والدي على رأيه خضعت للأمر الواقع بين راغب فيه وزاهد . وكان الخير فيما ألهم الله به أبي فقد توفي بعد زواجي بستة أشهر في يناير (كانون الثاني) 1924 حفظ الله لي نصف ديني بهذا الزواج وأقامني على الصراط المستقيم فلم ترق امرأة في نظري بعد هذا الزواج ولم أفكر في غيرها واقتصرت عليها ودام هذا الزواج الهني ثلاثة وخمسين عاما حتى توفيت تلك الزوجة الوفية في رمضان 1399 هـ - الثامن من أغسطس (أب) 1979 بعد أن تسحرنا وصلينا الفجر معا وبعد مرض لازمها

الفرش حوالى سبع سنوات . ما زلت أبكيها بحرقة من كل قلبى الى اليوم كلما مرت ذكرها بخاطرى أو ذكرها أحد أمامى فقد كانت زوجة مثالية تطهو أشهى الطعام وتساعد من تغسل الملابس يدا بيد وتقوم على نظافة المنزل مع الخادمة - لم تسألنى فيما أفعل لم فعلت ؟ ولا فيما تركت لم تركت ؟ . لم تطالبنى بشئ لنفسها لأنى كنت أوفر لها كل ما تطلبه الزوجة من زوجها وظلت بعد الزواج ملازمة للبيت حوالى سبعة عشر عاما لا تخرج لزيارة أهلها أو حضور عزاء أو تهنئة إلا فى سيارة ولم تركب طوال تلك السنين تراما ولا أتوبيسا أو تمشى فى الطريق على قدميها لأنى كنت شديد الغيرة عليها ..

أغار عليها من الشمس أن تلقى عليها أشعتها ومن الهواء أن يلامس طرف ملابسها . وكانت تعرف ذلك منى فلم تضق بى ولم تعاتبنى . هذا إن لم تكن هذه الغيرة ترضيها وتسعدها . وقد رزقنى الله منها بنسل كثير لم يبق منه إلا ذكران وأنثيان أسأل الله أن يكون عنهم راضيا فهم صالحون ومؤدبون ومطيعون . وأذكر هنا واقعة تتعلق بغيرتى عليها .. فقد حدث لما قضيت فى سجن عبد الناصر سبعة عشر عاما من أكتوبر (تشرين أول) 1954 الى يوليو (تموز) 1971 كانت نعم الزوجة الصابرة المحتسبة . ومرت عشر سنوات فى السجن لم أرها فيها غيرة عليها أن يراها السجانون ومن معى من الاخوان حتى إذا ألح على الإخوان ووجهوا لى اللوم على هذه القطيعة . أذنت لها بزيارتى فى السجن واستقبلتها فى إتران وكأنى لم أفارقها إلا يوما أو بعض يوم . لم تسبب لى متاعب مع أهلى حتى ولو أسىء إليها فى غيبتى من أم أو أخ أو أخت إننى أنصح - وعن تجربة - كل فتاة وفتى يريدان الزواج ألا يجعلوا ما يسميانه الحب لا يلبث أن تنطفئ جذوته بعد سنتين أو ثلاث وخاصة إذا بادرتهم الذرية بالمجىء .

الزواج يجب أن يقوم أولا على رضا الوالدين ورضاء الزوج أما تخطى إرادة الوالدين فما الزواج إذ ذاك إلا نزوة اتصال حتى إذا تم الاتصال وتكرر وأصبحت المحبوبة طوع اليمين . تبخر كل ذلك الغليان العاطفى ولم تبق إلا صلة صداقة بين الزوجين هى من أرقى صور الصداقة هذا إذا أخلص كل منهما للآخر وأعطى كل منهما حق الوفاء بهذه العلاقة الطاهرة التى على أساسها يقوم عمار البيوت وبالوفاء تدوم الزوجية سعيدة هائلة .

والويل للزوج أو للزوجة إذا بدا من أحدهما إعجاب أو استلطاف لآخر أو لآخرى .

أذكر أننى أشتريت فى العام 1936 جهازا للراديو " فليبس " ماركة النحاس باشا فسمعت المرحومة زوجتى غناء ل " رياض السنباطى فأعجبها الصوت والتلحين وصارحتنى بهذا فكان ردى أن عليك أن تغلقى الراديو بمجرد سماعك لاسم السنباطى مغنيا أو ملحنا فاستجابت دون تردد لما تعرفه من غيرتى عليها . وأنا أقول للفتيان والفتيات : احرصوا على رضا الوالدين فيمن تختارون فغضب الوالدين له نتائج فى غاية السوء ورضاهما له من الآثار الطيبة ما يوفر كل سعادة واستقرار .

رسبت فى الحقوق

بدأت مرحلة الشباب بدخول الجامعة فى العام 1924 فى كلية الحقوق التى التحقت بها عن رغبة جامحة لأنى كنت مغرما بمواقف المحامين فى الجلسات ومرافعتهم وارتفاع نبرات أصواتهم فى الوقت الذى يجلس القضاة مستمعين صامتين . كنت مغرما بما أقرأه عنهم من أنهم حماة الحرية العاملون على نصرة الضعفاء المطالبون بالحق الأحرار البعيدون عن قيود الوظيفة . قلت فيما سبق إننى لم أرسب فى حياتى الدراسية فى المرحلتين الابتدائية والثانوية مطلقا .. لكننى رسبت فى كلية الحقوق أكثر من مرة للعوامل الاتية :

أولا : لأننى تزوجت وانجبت وأنا طالب فى الكلية وللزوجية والأبوة ما يقتطع من أوقات المذاكرة والمواظبة على حضور الدروس .
ثانيا : اشتعال الحركة الوطنية وكثرة ترددى على بيت الأمة والجلوس الى سعد زغلول والاستماع إليه لأنه كان جذابا يرغم الصم على تتبع حركات شفثيه .

ثالثا : وفاة أبى وشراى سياره " رينو كابروليه " رقم 2751 وانصرافى الى الاستمتاع بحرية لم تكن متوفرة لدى فقد عرفت كل ما يعرفه الشبان الوارثون عدا الزنا والخمر من ارتياد السينما والمسرح والرقص فى الصالات .

كان أستاذ مادة " القانون المدنى " فى كلية الحقوق هو المرحوم د. عبد الرازق السنهورى .. وكان أستاذا حقا لافى مادته فحسب ولكن فى خلقه ومعاملته للطلبة ومع ذلك لم ينجح من قفشات الطلاب فقد كان فى صوته ضخامة حتى أطلق عليه " عفاريت الطلبة " إنه أول من نطق الفرنسية بالضاد .. ولما رأى تعثر بعض الطلبة فى مادة القانون المدنى جمعنا وأعد لنا حصة خاصة يشرح لنا فيها ماستعصى علينا من دروسة فى الفصل وبلا مقابل ولم يكن الدكتور السنهورى فى ثراء بعض الدكاترة الحاليين الذين يجعلون من بيوتهم مدرسة للدروس الخصوصية التى يبالغون فى أجرها والتى لاكت الألسنة هذا التصرف غير المشروع .. فأى احترام يقوم بين طالب يدفع لأستاذه مالا مقابل الحصول على المعرفة وبين هذا الاستاذ الذى يمد يده ليتناول الأجر من الطالب ؟

إنه يغرس فى نفس الطالب مبدأ أن كل شىء فى هذه الحياة لا بد أن يكون له مقابل مادي حتى العلم ومن هنا لم يطلب الطلبة العلم للعلم ولكنهم يطلبونه لما يفيضه عليهم من مادة وبهذا تنمحي فى نفوسهم كل الاخلاق الحميدة ويصبح همهم الوحيد الحصول على المادة وقبل كل شىء فهم لا يطلبون العلم ليتفقهوا فيه أو يخترعوا أو يكتشفوا كما هى الحال فى أقرانهم من أبناء الأمم الناهضة لهذا تقدموا وتأخرنا ونمت قواهم وضعفنا ونسينا العلم للعلم ونسينا التضحية والبذل والايثار وأصبح هم كل واحد منا السباحة فوق التيار ولو جرف التيار كل الآخرين .

لقد قلت إن من الحلول التى ينبغى أن يؤخذ بها لهذه المشكلة أن تعين الحكومات الهيئات الدينية - مسلمة كانت أو مسيحية - لكى تتمكن من تنظيم حلقات دراسية للطلبة المتخلفين فى المساجد والكنائس حيث إن للمسجد هيئته عند المسلمين وللكنيسة هيئتها عند المسيحيين .

موقفى من المرأة

ليس للمرأة دخل فى حياتى على الاطلاق فما أحببت بالصورة الخيالية السائدة لدى الفتيات والفتيان ولو حضرت مجلسا فيه من النساء أكثر من الرجال اعترانى طوفان من الخجل . إننى لا أستطيع أن أنظر الى امرأة فى وجهها أو أحقق النظر اليها بل إننى لا أحب الحديث الى النساء قد يرى المتحضر أن هذا عيب وقد يروونه جبنا .. لكننى لا شأن لى بالنظريات الحديثة ومساواة المرأة بالرجل فأنا ما زلت أعتقد أن الرجل رجل وأن المرأة امرأة ولذلك خلقها الله ولا يستطيع البشر أن يغيروا حكمة الله فى خلقه مهما قدموا لشبابنا المسكين من نظريات براقة تدعو الى المساواة بين الرجل والمرأة . إن المرأة التى تؤمن بمساواتها بالرجل امرأة فقدت أنوثتها قبل أن تخسر عفافها وكرامتها .

وكنت قد أعطيت تعليماتى لوكيل مكتبى ألا يدخل على امرأة بمفردها بل لا بد وأن يدخل معها الى مكتبى .

ولما حضرت مؤتمرا للنساء فى دولة الامارات كنت أعجب من جرأة بعض السيدات فى توجيه الأسئلة التى كنت أجيب عنها فى لف ودوران !وكنت فى فندق بمدينة كومو فى إيطاليا وحددت موعدا فى صالون الفندق للحلاقة فلما دخلت لم أر إلا سيدات فسألت : من سيحلق لى شعرى ؟ فأشاروا الى فتاه . فقلت : اليس من رجل ؟ فقالوا : لا فقلت : " لا رجل إذن لا حلاقة " وبات الفندق يتحدث عن هذه الواقعة وبت أحمد الله على أنى لم أعصه فى بلاد المتحليلين .

هذا هو دور المرأة فى حياتى . ليس إلا زوجه وفية وفرت لى السعادة المنزلية جاءتنى بأبناء وبنات هم موضع احترام كل من لقيهم وأنا أريد أن أنفى من أذهان الناس أن هذا التصرف احتقار منى للمرأة أبدا .. فالله وحده يعلم كم أحترم النساء وأرى فى تصرفى هذا غاية الاحترام لهن .

إننى من الدعاة الى تعليم المرأة لكى تباشر من الأعمال ما يتناسب مع أنوثتها وشرفها حتى تكون دائما فوق مستوى الشبهات والأقويل . وحسب المرأة فى الاسلام أن الله ساوى بينها وبين الرجل فى الحقوق والواجبات وفى المثوبة والعقاب .

أنا وفدى قديم

أخذت السياسة منى وأنا فى الجامعة اهتماما كبيرا فقد كنت وفدى بكل كيانى وكنت كثير التردد على بيت الأمة وأذكر أن سعد باشا زغلول كان يرسل أحد الطلبة ليجىء له بمجلة الكشكول يوم صدورها وكان يعجب بصورها الكاريكاتورية ولا يغضب ولا يثور مما يكتب ضده فى تلك المجلة التى كانت تشن أقصى الحملات على الوفد والوفديين .

وأنا رغم وفديتى كان لى فى المرحوم إسماعيل صدقى باشا رأى أخالف به الكثيرين فالحق أن صدقى باشا لم يكن محبوبا من الشعب وكان قاسيا فى حكمه على الجماهير وكان يصف الشعب المصرى بأنه شعب كل حكومة وقد كان مخطئا فى نظرتة استبداديا فى معاملته للجماهير . لكنى كنت أراه سياسيا واقعيا يدير سياسته على اساس من الواقع الذى يعيش فيه كانت سياسته أن الحقوق إذا استحالت الحصول عليها كلها فمن الخير أن يحصل عليها جزءا بعد جزء وفى السياسة ما لا يضر إذا ما تتابعت الجهود .

ولعلنا لا ننسى أن صدقى باشا وجهت إليه اتهامات كثيرة عندما عهد بطريق الكورنيش فى الاسكندرية لشركة دانتمارو . وقد أثبتت الأيام أنها كانت اتهامات باطلة . وها هو الكورنيش أجمل ما يزين الاسكندرية من الطرقات التى ثبت نفعها وعادت على الاسكندرية بالخير الكثير ولكن أحدا لا يذكر لصدقى باشا هذه اليد التى قدمها للاسكندرية والباقية ما بقيت الاسكندرية .

كانت الخلافات بين الأحزاب فى ذلك الحين على اشدها ولكنها كانت خلافات بين رجال مهما اشتدت الخصومة بينهم فى القضايا العامة فقد كانت علاقتهم الخاصة على أحسن ما تكون . كانوا يتزاورون ويسمرون بعيدا عن العداء الشخصى الذى نراه منتشرا بين الأحزاب القائمة ورجالاتها وما من شك أن الحزبية فى صورتها الحالية نكسة مريرة فى عالم الديمقراطية فما من حكومة حزبية ترضى لنفسها الفشل فى أى مجال من مجالات الانتخاب ولكن هذا حدث فى عهد وزارة يحيى باشا إبراهيم فقد سقط والقصر معه وفاز الوفد بأغلبية ساحقة ولو أن العلاقات الشخصية بين قادة الأحزاب وأعضائها أخذت وضعها السليم لرأينا فى مصر انتخابات لا يشكك فيها أحد لا الفانز ولا المهزوم ولكن المؤسف أن الحكومات الحزبية لا تتورع عن أى أسلوب وفى يدها سلطان الحكم يصل بها الى الأغلبية التى تحفظ لها البقاء فى الحكم حتى ولو كره الشعب المغلوب على أمره ولن نصل الى ما نرئو اليه من مكانة كريمة فى المجتمع الدولى إذا ما بقينا مصرين على مثل هذه الأساليب .

وخرجت الى الحياة العملية فقضيت مدة التمرين فى مكتب أحد المحامين فى العتبة الخضراء اسمه " ابراهيم بك زكى " وكان قاضيا وأحيل الى المعاش فاشتغل بالمحاماه ولعل هذه الخطوة غير المقصودة التى بدأت بها حياتى العملية تدل على أنى بعيد كل البعد عن فكرة التعصب وأن هذا مسلم وهذا مسيحى . ما كانت هذه المعانى تخطر لى على بال . ولست أدرى أى شيطان ألقى بهذه المعانى وأشعلها فى حكم السادات فتنة طائفية يعلم الله أنه لا فتنة هنا ولا طائفية هناك الكل مصرى يدين بديانته دون تدخل ويباشر نشاطه دون عراقيل ويحيا حياته هادئا آمنا مستقرا وبعد انتهاء مدة التمرين اتخذت مكتبا لى فى شبين القناطر وللحق لم أكن محاميا نابغا نابها كما أنى لم أكن محاميا مغمورا وكانت لى قضايا فى كل محاكم مديرية القليوبية كما كانت لى قضايا فى كل جهات القطر حسب توفيق الله . كانت أقصى قضاياى شمالا محكمة طنطا وأقصاها جنوبا محكمة طهطا . آليت على نفسى ألا أخدع موكلا . فإذا جاءتنى قضية مدنية استمعت للمدعى أو المدعى عليه واطلعت على المستندات ووقائع القضية والشهود إذا لزم الأمر فإذا ما رجح لدى جانب كسب القضية قبلت التوكيل فيها ومباشرتها وإذا ترجح جانب عدم الكسب نصحت صاحب القضية بالصلح مع خصمه وليس معنى القبول أن الدعوى مضمون كسبها أبداً لكن هذا تقديرى المبدئى فقد أخسر بعض القضايا التى أقبلها وقد تنجح بعض التى أرفضها إنما كان الأمر عندى مراعاة الله فى الكسب الحلال فلا أقبل إلا ما أقتنع بصحته وقد أكون مخطئا فى التقدير ولكنى بذلت الجهد فى التقصى قبل أن أكيد صاحب الدعوى أتعاب المحاماة ومصاريف الدعوى .. أما النتائج فلا يعلمها إلا الله . أما القضايا الجنائية .. فافقروا الدوسية الخاص بها فاتفق إما على البراءة أو على تخفيف الحكم للأعذار المختلفة .

مرشح عدة قوائم

وهكذا سارت حياتي في المهنة وكانت موفقة بإذن الله .
وأثناء ذلك رشحت نفسي لمجلس النواب كأخ مسلم ولكنني لم أفر رغم تكرار المحاولة ذلك لأنني لم أكن خبيراً في الانتخابات ومقابلها وأساليبها الظاهرة والخفية فقد كانت الانتخابات تجري في كثير من ملابساتها على أساليب لا يقرها شرع ولا خلق .. ففيها الشائعات الكاذبة وفيها الرشاوى والتهديد - وكل ما لم يكن له به دراية ولا يوجد في تعاليم ديني ما يبيح مثل هذه الأساليب . ورغم هذا كله كانت علاقتي بالناس على أحسن ما تكون . فقد كان المسؤولون عن الوفد في القليوبية يكتبون اسمي في عضوية الوفد وكان الأحرار الدستوريون يكتبون اسمي في عضوية حزب الأحرار الدستوريين وكنت أسكت على استحياء لعدم قدرتي على رفض ما يطلب مني ما دام لا يخرجني من دائرة الحلال ولا يدخلني في دائرة الحرام .

وقد يسألني سائل لماذا لم يظهر اسمك مع الطلبة الذين كانوا يدخلون اتحادات الطلاب أو تظهر أسماؤهم في صحف ذلك الزمان ؟
والرد : طبعي العجيب الذي ينفر من الأضواء ومزاحمة الراغبين والمتطلعين الى الشهرة ولو أن ظروفًا لا قبل لي في التغلب عليها لما ظهر اسمي في الصحف والمجلات ولما علم أحد عنى شينا ولكنها ظروف قاهرة وبيعة خالصة على العمل في سبيل الله .. كأنه ما كانت التبعات والله أعلم بالنوايا وما تخفي الصدور .

وهكذا ترى أن البيئة الدينية التي نشأت فيها والرغبة في البعد عن السفساف والعبث ورعاية الوالد وطريقته في تربية أبنائه .. وحبى لمجالسة ومسايرة من هو أكبر مني سناً وعزوفى الكامل عن الدخول في المناقشات السفسطائية وحياتي واحترامى لمشاعر الناس جميعاً كل ذلك كان له أكبر الأثر في التكوين النهائي الذي أنا عليه .

الحلقة الثالثة

* جلست أمام رئيس الوزراء والمسند مصوب الى رأسي .

* رشحت نفسي لمجلس النواب مرتين ولم أنجح في أيهما !!

* تعاطفت مع ألمانيا وتظاهرت مع سعد زغلول .

ثمانية عشر عاماً قضاها المجاهد " عمر التلمساني " وراء قضبان السجون والسجن في حياة المجاهدين ليس ترفاً يتفخرون به أمام الأجيال إنما هو تضحية لا يقدر عليها إلا من عرف معنى الشرف ومعنى الكرامة ومعنى الحرية ومعنى الإيمان .
ولقد وجد عمر التلمساني نفسه منذ فجر شبابه في خضم الحركة الوطنية المصرية ..
وعاصر زعاماتها المختلفة والتقى واحتك وتحاور مع العديد منهم بدءاً بسعد زغلول وانتهاء بحسنى مبارك .
كيف بدا " عمر التلمساني " حياته السياسية ؟ وما نوعية الفكر السياسى الذى استخلصه لنفسه وارتضاه مرشداً على الطريق الوطنية الصادقة ؟

وهل كان مغامراً يبحث له عن دور فى دهاليز السياسة والزعامات والمجتمع ؟

يجيب عمر التلمساني عن كل هذه التساؤلات المطروحة فيقول :

أخذت على نفسي عهداً بالأسوء الى إنسان بكلمة نابية حتى ولو كنت معارضا له فى سياسته وحتى لو أذانى ولذلك لم يحصل بينى وبين إنسان صدام لمسألة شخصية وإنما القضايا العامة أو على وجه الدقة الكاملة أن عملى فى حقل الدعوة الإسلامية أثار على جمهرة الكثيرين وما كان هذا ليحزننى لأننى كنت على ثقة بأن ما أصاب به ليس لإساءات بدرت منى ضد غيرى ولكن عملى فى سبيل الله هو ا

لذى حمل البعض على الاساءة الى والنيل منى فكنت أكله الى الله غير مبال بما يفعل ولا بما يترتب على تصرفاته نحوى لقيت من المرحومين إبراهيم عبد الهادى وعبد الناصر الكثير من الظلم فلم أحقد ولم أضمر سوءا .

موسم الاعتقالات

أما " إبراهيم عبد الهادى " فقد اعتقلنى عام 1948 فى معتقل الهايكستب " ثم نفانى الى جبل الطور ولما تعقدت الأمور بين يديه وأحس باهتزاز الكرسي من تحته استدعانى من الطور مع المرحوم الأستاذ البهى أولا ثم الأستاذ الخضرى ثانيا وأثناء وجود الأستاذ الخضرى فى غرفة رئيس مجلس الوزراء حضر المرحوم كريم ثابت باشا فى خطى مسرعة وكأنما يطارده أحد ودلف الى حجرة إبراهيم عبد الهادى ولم يلبث إلا دقائق ثم خرج بالسرعة نفسها التى دخل بها . فقد كان الجميع يعيشون فى فزع نتيجة لما كانوا يتبعونه فى سياسة الحكم من قمع وقسوة . ولئن كان عبد الناصر أمعن فى تلك المظالم فإنه بدأ من حيث أنتهى إبراهيم عبد الهادى وبذا كان أستاذ لمن جاء بعده فى فنون الايذاء والتعذيب وكانت خاتمة حكم إبراهيم عبد الهادى مؤلمة لذوى الضمانر الحية . فقد أقاله الملك ليلة العيد وجاء فى صحف ذلك العهد أن فاروقا جعل إقالته هدية العيد للشعب المكبوت . وياليت من جاء بعده اتعظ بهذه الخاتمة المخزية ولكن من يقرأ ومن يسمع ؟

فجاء دورى فدخلت وعبأتى على كتفى فسلمت وجلست على الكرسي المقابل لمكتبه لكنه لم يرد السلام ! فعزته لما كان عليه من اضطراب وقلق ووقف خلفى بمسدسه بين كتفى ضابط كبير اسمه " عمر حسين " ولعله كان رئيس المباحث فى ذلك الوقت .. وحدتني نفسى بأن أخرج من جيبي علبة السجائر لأدخن سيجارة ولكن فى لمح البصر أدركت موقف الضابط الذى يقف خلفى بمسدسه بين كتفى وقدرت أن وضع يدي فى جيبي قد يؤدى به الى الظن بأننى سأخرج سلاحا رغم التفتيش الذى حدث قبل المقابلة فيفرغ رصاصة فى رأسى وأموت " فطيسا " فى غير معركة وإن كانت الميتة استشهادا حقيقيا .

وبدا الكلام فى الموضوع مباشرة ولكنه لم يخاطبني بلغة أنور السادات " :

(يا عمر - يا عمر) وكان ينقصه أن يقول : " نعم يا سى عمر "

بدأ كلامه :

إنى سائلك ثلاثة أسئلة يا أستاذ عمر فإن أجبت أطلق سراحك وسراح الإخوان جميعا وإلا فذنب المعتقلين جميعا فى رقابكم باعتباركم أعضاء مكتب الارشاد :

1- أين مخازن الأسلحة ؟

2- أين تقع محطة الارسال التى تستخدمونها ؟

3- من هم قادة النظام الخاص ؟

وكان ردى الصادق أننى لا أعلم شيئا عن كل ما سألتنى عنه وعدنا الى معتقل الهايكستب ولم نعد الى الطور .

اغتيال حسن البنا

وفى استطراد بسيط يرى القارىء موقف الاخوان من ذلك العهد وأننا كنا موضع نقمته ومطاردته لأننا كنا نفتتح أذهاننا لشباب على الفساد والتفريط فى حقوق البلاد فى الوقت الذى لم يكن أحد يسمع شيئا عما يسمونه " تشكيل الضباط الأحرار " ثم يتهمنا عبد الناصر

وأعوانه بأننا أعداء الانقلاب " الثورة " وعملاء من أعتال إمامنا الشهيد " حسن البنا " وأقام الأفراح وسقى الشربات ابتهاجا بقتل الامام الشهيد .

ومن الذى يتهمنا ؟ الانقلاب ورجاله وكتابه ولا تزال هذه النغمة تتردد فى كتابات كل من يريد تزلفا للحكام .

كنا نحن الاخوان المسلمين ننتقد " فاروق " ونهاجم تصرفاته وكان هؤلاء الكتاب الشرفاء الشجعان المغاوير يدبجون المقالات فى مديح الفاروق المعلم الأول .. والعامل الأول .. والمهندس الأول .. الأول .. الأول !! فى غير ما تخرج ولا حياء حتى إذا ما جاء الانقلاب تحولت كل الأقلام الجريئة الطاهرة الى أنياب دامية تنهش فاروقها الأول .

ثم إذا ما قام الخلاف بين عبد الناصر والاخوان تحولت تلك الأضراس الطاحنة الى سمعة وإيماخوان تمزقها وتعلو به الى عنان السماء ثم تتركه معلقا فى الهواء حتى إذا ما مات .. كانت أول من لطخ عهده بأشنع الشناعات وهى الأقلام المادحة بالأمس القريب نفسها ثم وجدت لها ترانيم فى حكم السادات تشيد به وتتغنى ببطولاته فى الوقت الذى تعرض الإخوان خلاله لأقسى المعاملات . وكما كان حريا بالسادات أن يعتبر فيستبعد تلك الأقلام التى لا تجيد إلا مدح الحاكم ومهاجمة خصومه لكنه لم يعتبر وانتهى به الأمر الى ما انتهى اليه فغذا بتلك الأقلام نقول فيه ما قال " الحطينة " فى نفسه وفى الناس وجاء الانقلاب " ثورة 23 يوليو " أو التغيير فوجد الجو مهيا وتم كل شيء فى غير ما جلبه ولا ضوضاء واستقبل الشعب جنوده وضباطه بالفرح والترحاب وليس فى الأمر ما يعدو إقالة وزارة إقامة أخرى وبدأ عبد الناصر حكمه باطلاق سراح كل المسجونين من الإخوان ومصر الفتاة واستبشر الشعب خيرا وعرف الناس أن ما تم كان باتفاق بين الإخوان والضباط الأحرار وأن الإخوان سيعودون بالوطن والمواطنين الى سالف مجد المسلمين لأنهم لا يقولون إلا ما يفعلونه وأنهم ليسوا أصحاب الوعود البراقة الخالية التى يسمع لها جعجعة ولا يرى لها طحن .

ومن قبل هذا توالى الأحداث السياسية فى حياتى فقد كنت متابعا لقراءة المقطم يوميا حيث أخبار الحرب العالمية الأولى واكتساح الجيوش الألمانية لجيوش الحلفاء واكتساحا وكنت معجبا بهند جورج القائد اللامع المشهور وقدرته الفائقة فى أسر مليون عسكرى روسى فى موقعة البحيرات وكنت متعاطفا مع ألمانيا لموقف الانجليز من وطنى وأعمال السلطة وكانت هناك تعبيرات صحفية لبعض الدول التى لم تدخل الحرب مثل تعبير " الوقوف على الحياد المسلح مع الميل للحلفاء " وكنا نستعمل التعبير فى كثير من مراحنا مع بعضنا البعض . كنت أقرأ معظم الصحف التى تصدر فى مصر . الأهرام والسياسة والجهد ومجلات المصور واللطائف والسياسة الأسبوعية والجهد الأسبوعى والتجارة . أقرأ كل ما فيها من الجلدة الى الجلدة بلا ملل طوال فترة دراستى الثانوية عندما كان البال خاليا والقلب رانقا كنت اقرا لمجرد القراءة أحب مشاهدة مباريات كرة القدم وإن لم أمارسها . أستمع أكثر مما أتكلم ولو استطعت ألا أتكلم لفعلت . كانت دراستى الثانوية والجامعية حافلة بالأحداث التاريخية فقد عاصرت كل التغيرات الوزارية فى ذلك العهد وتعاقب رؤساء الوزارات وكان رئيس الوزراء يسمى " ناظر النظر " .. رأيت سعد زغلول وإسماعيل صدقى ومحمد محمود " صاحب القبضة الحديدية " وتوفيق نسيم ويوسف وهبه ومحمد سعيد وأحمد زبور وتابعت مواقف عبد الحميد عبد الحق وسليمان غنام فى مجلس النواب لم يكن فيه وفديون سواهما وموقف الأستاذ الجندى فى مجلس لشيوخ الذى لم يكن فيه وفدى سواه .

وشاهدت الملك فؤاد يستفتى بلجيكا فى مسألة تعيين الشيوخ المعينين والخلاف عليها بين سعد زغلول والملك فؤاد وكنت من بين المتظاهرين حول قصر عابدين وعندما سمع البلجيكي هدير المظاهرات فتح النافذة وقال لفؤاد : لا داعى لأن تستفتينى فقد أبدى الشعب رأيه .. وكانت الجماعه تتهافت : سعد أو الثورة " .

التخرج فى كلية الحقوق

كل هذه الأحداث التى كنت أعيشها فكريا وعاطفيا ما كانت تقعدنى عن مواصلة دروسى حتى تخرجت فى كلية الحقوق وكان عدد الناجحين فى تلك السنة " 1931 " حوالى سبعمائة طالب وأذكر أن أعلى درجات كنت أحصل عليها كانت فى الشريعة وأذكر أن الذى

امتحنتنى شفويا فى سنة التخرج هما الأستاذان أحمد زيد بك وأحمد إبراهيم بك ووجها الى سؤاليين عن المواريث على “ التختة “ فأجبت فاكتميا ولكنى طلبت سؤالا ثالثا وكنت أعلم أن فى هذا إرضاء لأستاذى الجليل أحمد بك إبراهيم وكان عجباً أن يطلب طالب الاستزادة فى الأسئلة ولكن هذا الوضع كان مقصورا على علوم الشريعة فقط . أما المواد الأخرى فكنت (يادوب أنفد فيها بجلدى) .

ومن اللطائف التى أذكرها أن حسن باشا صادق الشيشينى كان يدرس لنا مادة الاقتصاد السياسى وكان بيت شيكوريل فى ذلك العهد تطل بعض حجراته على الغرفة التى كانت من نصيب الاقتصاد السياسى وفى إحدى الحصص رأى الأستاذ أن كل الطلبة كانوا منشغلين بالتطلع الى بيت شيكوريل فنظر بدوره فرأى فتاتين فى النافذة فخلجوا جميعا وقال الأستاذ “ كفاية نستأنف دروسنا “ كان أستاذنا فى الدراسة الدكتورة عبد الحميد أبو هيف وأحمد أمين والعشماوى والشيشينى والخيال وعبد المتعال ووحيد رافت وأحمد إبراهيم وكامل مرسى والسنهورى وجنينه ومحمد صادق فهمى وغيرهم ممن غابت عنى أسماؤهم .

وكانت كلية الحقوق على أيامنا زعيمة كليات الجامعة ترأس الاجتماعات الطلابية وتقود المظاهرات كانت عماد الحركة الوطنية فى ا لأوساط الطلابية وكان الوزراء فى ذلك العهد كلهم حقوقيون إلا النادر منهم ولذلك كان التخاطب بين طلاب كلية الحقوق بمجرد الالتحاق بها ب “ إكسلانس “ وكان ا لطالب يفخر بأنه من طلبة الحقوق ولعلك تعجب إذا علمت أن صداقات عميقة كانت تقوم بين بعض الوزراء على مختلف الاتجاهات وأن كثيرا من الصحفيين المعارضين كانوا على صلات طيبة مع الوزراء الذين يعارضونهم وكانت جلسات الوزير عبد الحميد عبد الحق مع كتاب الصحف الوفديين والمعارضة غاية فى اللطف والأنس والانبساط وكانت لهجته الصعيدية تضى كثيرا من الطرافة على حديثه معهم واختلف معهم على معنى كلمة فسألهم لديمك عجول “ يريد عقول “ .

فقالوا ومن يؤيدك فى هذا المعنى الذى تذهب اليه ؟ قال الجاموس “ يريد القاموس “ ولم نر فى حياتنا هذه المראה فى الخصومة الحزبية وخاصة بين كتاب رؤساء التحرير .

وتمضى أيام الشباب هادئة ولعل السبب كما قلت أننى تزوجت مبكرا وكانت الخيرة فيما اختاره الله قد ساعدنى ذلك على كثرة القراءة خاصة وأن مكاتب المحامين فى المحاكم الجزئية ما كانت تفتح ليلا بل يكتفى بالعمل فيها من الساعة الثامنة صباحا الى الثانية بعد الظهر تقريبا وقد ولعت بلعبة الشطرنج لكن عدم إقامتى فى شبين القناطر سكنا وانتقال الى القاهرة شغلنى عن هذه الهواية حتى كدت أنساها .

أنافقة شباب الإخوان

وفى هذه الفترة قرأت من أمهات الكتب ما لا يتوافر لمثل من كان فى ظروفى فهى كتب العلم الاسلامى حقا وهى المنيع الذى يجب أن يغترف منه كل من يريد أن يكون على بصيرة من دينه ودنياه وهى التى أعانتنى على ما انا بصدده الآن وإذا كان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده فقد كنت أعنى بظهور هذه النعمة على . إذ كان المكتب يدر من الرزق ما يكفى ويفيض . لقد كان الاتسجام كاملا بين لون البدلة والقميص والكرافت والمنديل والجورب والحذاء .

ليعلم الناس أن المسلم يجب أن يكون حسن المظهر طيب الوجهة فى كل حلال وبعيد عن الحرام . لم أكن وشباب الاخوان متعصبين كنا كما قالوا رهبان الليل تعبدا وحسن صلة بالله سبحانه وتعالى وفرسان النهار شجاعة وإقداما ووجهة وحرصا على كل ما ينفع المسلم ويضعه وضعه الصحيح فى ا لمجتمعات التى يقيم فيها كنت أخطب الجمعة حيثما حلت . إن هذه الدنيا لم تخلق لغير المسلمين فكنت آخذ نصيبى منها مأكلا وملبسا ومشربا ومسكنا وخادما ومركبا .. لا أحرم نفسى من شىء أحله الله أبدا . { ولا تنس نصيبك من الدنيا } . كان معاوية بن أبى سفيان وجيها فى كل شىء وحدثه عمر بن الخطاب فى هذا فقال له معاوية : إننا نجاور امما للمظهر فى التعامل معها تأثير كبير ومع كل فإن أمرتنى بالاقلاع أقلعت . فقال له أمير المؤمنين التقى الواعى : “ لا أمرك ولا أنهاك “ .

ومما أعاننى على السعادة فى شبابى أننى كنت “ بحبوحا “ أحب النكته البرينه والفقشة الرقيقة : متسامحا مع كل من أساء الى بالقول والعمل وأتركه الى الله وما كنت أحب إحراج محدثى ولم أكن حريصا على أن أحاصر محدثى وأقنعه أن الحق الى جانبى إذا ما الفيته

متعصبا لرأيه ووجدت الكلام قد دخل فى باب اللجاجة الذى لا خير فيه ومن طبعى الذى فطرت عليه أننى أسمع أكثر مما أتكلم يتحدث الناس فى مطلع شبابهم عن طموحهم وتطلعاتهم وقد يقتربون فى سبيل الوصول الى ذلك الطموح وتحقيق الاحلام ما يتنافى كثيرا من موازين القيم والشرع ولذلك ما كانت هذه الناحية تحظى من تفكيرى بشيء . كنت أقرأ لأعرف من علوم الشريعة ما يعيننى على تصحيح عبادتى . وكنت أتعامل فى مهنتى بأمانة ليكون دخلى من المهنة حلالا كنت متسامحا لأنى لا احب أن يكون بينى وبين أحد قطيعة . رشحنت نفسى مرتين لمجلس النواب ولم أنجح لأصدع بكلمة الحق والدعوة الاسلامية فى أعلى هيئة تشريعية فى البلاد أما أن أكون فقيها أو عالما أو وزيرا فما كان شىء من ذلك يشغل بالى على الاطلاق .

ولعلنى ذكرت فيما سبق أنه قد عرض على العمل فى النيابة عام 1936 فرفضت كما عرض على العمل فى القضاء فأبيت لا استعلاء ولا جحودا بفضلها ولكنه غرامى بالحرية وعدم رغبتى فى أى قيد من قيود الوظيفة . كنت أحترم الناس ولا أخشاهم وأحب أن أتعامل على قدم المساواة مع كل المستويات بلا حرج ووجدت كل ذلك فى مهنة المحاماة لأنها المهنة التى تفتح أمام الإنسان الكثير مما لا يتوفر للأطباء أو المهندسين أو غيرهم . فهو يعرف الكثير عن المهن الأخرى بطبيعة عمله واطلاعه على التقارير التى تقدم للمحاكم . إذا انتدبتهم لأمر يدخل فى اختصاص كل منهم فيعرف المحامى كيف عولج المريض وما نوع الأدوية التى كتبها له الطبيب ووجه الخطأ والصواب فى كل هذا ويعرف كيف بنى البيت أو العمارة وما نوعية المواد التى استخدمت فى هذا البناء وموافقة التصميم الهندسى للقواعد المقررة فى البناء وغير ذلك من أمور الهندسة على أنواعها مدنية أو ميكانيكية أو كهربائية أو غير ذلك كما يحيط من تقارير المهندسين الزراعيين بالكثير من الشئون الزراعية وكل هذا يتوفر للمحامى ولا يتوفر لغيره من الجامعيين الآخرين .

زد على ذلك أنها مهنة الدفاع عن الحق ونصرة المظلوم وأنها المهنة الرقيقة فليس فيها المباحض والمقصات والجراحة وليس فيها التردد على البنائين ومراقبتهم المستمرة أثناء عملهم وليس فيها الجرى فى الحقول والمراقبة المستمرة فى الفصول الزراعية المختلفة . هى مهنة العقل الراجح فى إقامة الدليل والبرهان والكشف عن أمور إن لم تظهر فقد يكون فيها تدمير لأسر بأكملها .

كان طموحى يأتينى من خلال قراءاتى فكلما قرأت ازدادت علما بأمور كثيرة يجهلها الكثير من الزملاء كان طموحى أن أكون محاميا نظيفا مهيا للفوز بعز الدنيا وسعادة الآخرة وما عرفت القسوة يوما سبيلها الى خلقى ولا الحرص فى التنصر على أحد ولذلك كنت لا أرى لى خصوما اللهم إلا إذا كان ذلك فى الدفاع عنالحق أو الدعوة الى العمل بكتاب الله على أن الخصومة من جانبهم لا من جانبى أنا .

لقد بدأت رجولتى الحقبة بدءا فعليا منذ أن سرت فى ركب دعوة الاخوان المسلمين ..يوم أن عرفت أن دينى يطالبنى بالعمل على نشره ونصرته مهما لاقيت من متاعب وصعاب . يوم أن عرفت أن القرآن ليس بركة فحسب يوضع فى الجيوب أو يعلق فى الحجرات أو يوضع فى السيارات إنه كل هذا أكبر من هذا إنه عقيدة وسياسة واقتصاد واجتماع وأخلاق وحرب وسلم وبيع وشراء وزراعة وتجارة وطب وكل شىء يمكن أن يزاوله الإنسان فى الحياة الدنيا ضمانا للسعادة فى الدار الآخرة إنه النظام الشامل الذى سعدت به الأمة الاسلامية ما تمسكت بيمينه سعدت الأمة الاسلامية بالعزة والحرية والكرامة وكانت الدنيا بأسرها تصغى واعية لكل كلمة تخرج من فم أمير المؤمنين فلما انصرفت الشعوب الاسلامية عن تعاليم دينها وهان عليها أمر الخلافة الاسلامية وفقدت المتعة الروحية بلقب أمير المؤمنين لما انغمرت فيما انزلت اليه من تقاليد الغير والانصياع له والسير فى ركابه وصلنا الى ما وصلنا الى ما وصلنا اليه حتى أصبح يقضى فى أمورنا من وراء أقفيتنا .

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأذنون وهم شهود

ولن نستعيد ما ضينا إلا إذا عدنا الى تعاليم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين من بعده وإجماع فقهاء المسلمين . وهذا ما وجدته فى دعوة الإخوان المسلمين .

قصة انضمامي للإخوان

كانت صلتى بالاخوان المسلمين وعلاقتى بالامام الشهيد قصة طريفة دلت بدايتها على منتهاها . أول ما اتخذت لى مكتبا فى شبين القناطر كنت أقيم فى عزبة التلمسانى وهى على بعد أحد عشر كيلو مترا من شبين القناطر والانتقال بينهما بالقطار والأتوبيس . كنت أهوى تربية الدواجن من دجاج الى حمام الذى أرانب وكان أمام السلا ملك الذى أعيش فيه حديقة زهور تقرب من القيراط مساحة ومن خلفها الحوش الذى أربى فيه هذه الدواجن .

وفى يوم جمعة من أوائل العام 1933 .. كنت أجلس فى حديقة الزهور فجاءنى خفير العزبة يقول : " فيه اتنين أفندية عايزين يقابلوك " فصرفت حرمى وأولادى وأذنت لهما بالمجىء .. وجاء شابان أحدهما عزت محمد حسن وكان معاون سلخانة بشبين القناطر والآخر محمد عبد العال وكان ناظر محطة قطار الدلتا فى محاجر أبى زعل . ومضت فترة فى الترحيب وشرب القهوة والشاى وثمة فترة صمت قطعها معاون السلخانة قائلا :

ماذا تفعل هنا ؟ فأثارنى السؤال واعتبرته تدخلا فيما لا يعنيه . فقلت ساخرا : أربى كتاكيت !

ولم تؤثر إجابتى الساخرة على أعصابه بل ظل كما هو موجهها أسئلته قال : هناك شىء أهم من الكتاكيت فى حاجة الى التربية من أمثالك . وقلت وما زلت غير جاد فى الاجابة : وما ذلك الشىء الذى فى حاجة الى تربيتى ؟ قال : المسلمون الذين بعدوا عن دينهم فتدهور سلطانهم حتى فى بلادهم قوا أصبحوا لا شىء وسط الأمم .

قلت وما شأنى بذلك ؟ هناك الحكومات والأزهر الشريف بعلمانه يتولون هذه المهمة قال : إن الشعوب الاسلامية لا تكاد يحس بوجودها . هل يرضيك أن تدعى هيئة كبار العلماء ليلة القدر من كل رمضان للإفطار الى مائدة المندوب السامى البريطانى والى جانب كل شيخ سيدة إنجليزية فى أبهى زينتها ؟

قلت : طبعاً لا يرضينى ولكن ماذا أفعل ؟

قال : إنك لست اليوم بمفردك فهناك فى القاهرة هيئة إسلامية شاملة اسمها جماعة الاخوان المسلمين ويرأسها مدرس ابتدائى اسمه " حسن البنا " وسوف نحدد لك موعدا لتقابلته وتتعرف الى ما يدعو اليه ويريد تحقيقه وشبت العاطفة الدينية الكامنة فى دخيلة نفسى فملت الى الرضا ووافقت على مقابلة الرجل وانصرفا بغير ما استقبلا به .

وعلمت منهما قبل أن ينصرفا أنهما يؤيدان مهمة فى كل يوم جمعه بعد صلاة الفجر يجوبان القرى والعزب التابعة لمركز شبين القناطر يبحثان عن رجل يصلى ويصوم ويؤدى فرائضه فيتعرفان اليه ويعرضان الدعوة فإن قبل اعتباره نواة لشعبة فى موقعه وكان فى كل مركز من مراكز القطر من يقوم بمثل مهمتهما من الاخوان المسلمين . وبعد أيام حضرا الى مكتبى وأخبرانى بأنهما حددا لى موعدا مع فضيلة المرشد العام وكان يسكن فى حارة عبد الله بك فى شارع اليكنية فى حى الخيامية وفى الموعد المحدد طرقت باب الرجل .

الحلقة الرابعة

التنظيم السرى للإخوان أنشئ لمحاربة إسرائيل وليس لاغتيال الوزراء .

* عملت وزيرا لمالية الاخوان وكانت الخزانة عامرة بالايمن !

* أحد رؤساء وزارات عهد السادات حاول رشوتى فأمرته بالسكوت .

* البيعة كانت لله وليس لحسن البنا أو للهضيبى .

" أخرج محفظته الجلدية وامتدت اصابعه فى ثناياها لتخرج ممسكة بوريقة صفراء بالية عليها نصف جملة كتبها الامام الشهيد " حسن البنا " بخط يده يحتفظ بها وكأنها تيممة بجوار قلبه وارتعش الكلام فى شفثيه وهو يقول : " هذا هو الأثر الوحيد الذى أفلت من أيديهم لخط يد الامام الشهيد عندي " ..

نصف جملة على وريقة صفراء يحملها الرجل ابن الثمانين وكأنه عاشق يتفانى فى الحرص على الخطاب الوحيد لمحبوبة رحلت وتركته مشبوبا فى صبابته ..

يقول عمر التلمسانى وهو يبسط الوريقة على راحته : كنا فى اجتماع بأحد البلاد وامتد بنا السهر حتى ساعة متأخرة من الليل فكتبت له ورقة أستأذنه فى الانصراف حتى لا أتأخر أكثر من ذلك على الناس الذين أنزل ضيفا عليهم فكتب له بخط يده على الورقة " ومن أدراك أن اجتماعنا سينفض قبل أن يستيقظ هؤلاء الناس من نومهم " .. وبلت الورقة فضاع منى النصف الأخير من الجملة "

كيف التقى الرجلان فدخل كل منهما قلب الآخر ؟ ، وكيف تمت البيعة واستمرت المسيرة جهادا وإخلاصا وتضحية ؟ .. ولماذا أنشئ التنظيم السرى للإخوان المسلمين ؟.

فى هذه الحلقة يتعرض الأستاذ " عمر التلمسانى " - المرشد العام للإخوان المسلمين - لذكريات لقائه الأول بسلفه الامام الشهيد " حسن البنا " فى بيته المتواضع فى الخيامية فى القاهرة الفاطمية فيقول :

فتحت سقطة الباب ودفعته ودخلت الى حوش المنزل وصفتت فرد على صوت رجل يقول : من ؟ قلت : عمر التلمسانى المحامى من شبين القناطر . فنزل الرجل وفتح باب غرفة على يمين الداخل من الباب الخارجى ودخلتها من ورائه وكانت مظلمة لم أتبين ما فيها ولما فتح النافذة الوحيدة فى الحجرة المطلة على الطريق تبينت ان فى الغرفة مكتبا صغيرا غاية فى التواضع وبعض الكراسى من القش يعلوها شئ من التراب .. وجلس الى المكتب وقدم لى كرسيه لأجلس . وعز على أن أجلس على مثل ذلك الكرسى بالبدلة الأنيقة فأخرجت منديلا من جيبى وفرشته على الكرسى لى أستطيع الجلوس هادئا فى غير تضجر ولا قلق . وكان ينظر الى ما أفعل . وعلى فمه ابتسامة واهنة ظننتها تتعجب مما أفعل ومما أدعى إليه وشتان ما بين رجل يحافظ على أناقته ورجل على وشك أن يدعى للعمل والجهاد فى سبيل الله . وحق له أن يتعجب إذ أن مظهرى كان يدل على الرفاهية التامة وعدم تحمل مشاق العمل فى سبيل الله الأمر الذى يحتاج الى الكثير من خشونة العيش مع عدم الانغماس فى بلهنية الحياة وشئ من التجرد .. ورغم هذا لمظهر الذى لا يطمئن كثيرا فقد مضى الرجل يتحدث عن الدعوة وأن أول مطلب لها وآخره هو المطالبة بتطبيق شرع الله وتوعية الشعب وتنبيهه الى هذه الحقيقة التى لن يتحقق الخير إلا عن طريقها ومن عجب أن يفترى بعض الناس على الاخوان بناءهم رسالتهم بالأمور الدينية فلما اشتغلوا بالسياسة بدأ الصدام بالأوضاع القائمة فأمعن خصوم الاخوان وقسوا فى حرب الاخوان الذين لم يقصدوا بأحد شرا أو إساءة لأن الاخوان يؤمنون بأن التحول عن القوانين الوضعية الى القوانين الإسلامية لا بد أن يأخذ طريقة المشروع دون عنف أو إرهاب .

بداية العمل السرى

أما النظام السرى " كما يسمونه وقد سبق الحديث عنه فلم يقم لقلب نظام الحكم بالقوة أو قتل الوزراء ولكن الامام كان قد رأى بثاقب نظره وحسن بصيرته أن من العار على كل مسلم فى أية بقعة من بقاع العالم أن تقوم دولة إسرائيل على أرض إسلامية دون أن تجد من يقاومها ويدفع هذا الخزي عن المسلمين كما رأى أن من المحتوم على المسلمين أن يعدوا شبابا يقوم بإخراج الانجليز من مصر باعتبارها منارة العالم الاسلامى كله . لهذا أقام هذا التشكيل المسمى بالنظام لدفع الأخطار التى تحيط بمصر وللأسف الشديد والحزن المرير أن الصليبية والشيوعية والصهيونية أدركت حقيقة هذا التشكيل وخطره عليها فتسللت الى أذهان حكام البلاد الاسلامية بأساليبها الخسيسة توسوس لهم بان هذا التشكيل خطير عليهم وأنه سيحد من سلطانهم إن لم يذهب به وصدق الحكام هذه الدسائس فكانوا البادنين بالتشكيل بالاخوان المسلمين وأعداء الاسلام يمدونهم بالتقارير المزيفة ليزيدوا النار اشتعالا وقد ساعد على ذلك الأخطاء التى وقع فيها

بعض الشباب من أعضاء النظام مثل قتل المستشار الخازندار فقد أساء بعض الشباب الفهم في تصرف قانوني سليم ولكن لجهلهم بالقانون اقترفوا جريمتهم بدون وعي الأمر الذي أزعج المرشد كثيرا وأحزنه وواقعه في الحرج . وحقيقة هذا الحادث أن بعض الشباب المسلم كان يتعقب ضباط الجيش الانجليزى للتخلص منهم سعيا وراء تحرير بلدهم المسلم من حكم صليبي . وقبض على بعض هؤلاء الشباب وحكم عليهم المستشار الخازندار - رحمه الله - بعشر سنوات .

في تلك الأيام نفسها عثر على شابين مقتولين في حديقة " انطونيادس " في الاسكندرية ولم يعثر للفاعل على أثر فتقيد الحادث ضد مجهول . ثم وجد ثالث بين الحياة والموت وامكن إغاثة فشفي وقال إن مقاولا ثريا صاحبه الى تلك الحديقة بعد منتصف الليل وقضيا وقتا معا ثم شرع في قتله ولم يتركه إلا بعد أن ظن أنه فارق الحياة .

فقبض على هذا المقاول - الذي كان يدعى قناوى - وحوكم ولم يثبت عليه ارتكاب الجريمة الاولى لعدم ثبوت الأدلة وتثبت قضية الشروع في قتل الشاب الثالث ويحكم على قناوى بالحبس ثمانية أعوام بالاشغال الشاقة .

وقد قارن الشباب المسلم بين الحكمين وبين الهدف منهما فظن مخطئو الظنون بالسيد المستشار وأقدموا على قتله دون علم من قيادة الاخوان بما جرى وقد فوجئت به القيادة الاخوانية كما فوجيء به الناس في الصحف .

وقد جعل أعداء الدعوة هذا الحادث وسيلة للإيقاع بجماعة الاخوان كلها وأثاروا على الاخوان حربا شعواء .

وأفاض فضيلة الامام الشهيد " حسن البنا " - في لقائنا الأول - في أهداف الدعوة ووسائلها المشروعة وكان يتكلم في صدق المخلصين وأسى المحزونين على ما يصيب المسلمين في كل أنحاء الأرض . والطغنة التي أصابت المسلمين بالقضاء على الخلافة وأنه إذا كان بعض الخلفاء قد أساءوا أو انحرفوا فليس معنى ذلك أن الخلافة هي التي أساءت أو انحرفت وهذا الأمر لا يجهله إنسان منصف . فالنظرية شيء والتطبيق شيء آخر .

ولو كان الأمر على ما يصوره المغرضون لكان الاسلام أسوأ دين في العالم لما عليه المسلمون الآن من تفريط في كل شيء حتى الرجولة والكرامة .

ولكن ما أبعد الشقة بين الاسلام وبين تفريط المسلمين وقد قال أحد الذين أسلموا : إننى لو رأيت المسلمين قبل أن أقرأ ما قرأت عن عظمة الاسلام لما أقدمت على الاسلام .

وتمت البيعة

ولما أنهى حديثه الذى لم أقاطعه فيه مرة سألنى : هل أقتنعت ؟ وقبل أن أجيب قال في حزم : " لا تجب الآن " وأمامك أسبوع تراود نفسك فيه فإنى لا أدعوك لنزهة ولكنى أعرضك لمشقات فإن شرح الله صدرك فتعال في الاسبوع القادم للبيعة وإن تخرجت فيكفينى منك أن تكون صديقا للإخوان المسلمين .

وما كان لمن جلس في الجلسة وسمع ما سمعت أن يتوانى عن البيعة لحظة وعدت في الموعد وبايعت وتوكلت على الله وإنها لأكبر سعادة لا قيتها في حياتى أن أكون من الإخوان المسلمين منذ أكثر من نصف قرن وأن ألقى في سبيلها ما لقيت مما احتسبه عند الله وأن يكون خالصا لوجه الله تعالى .

وكم أتمنى أن يعي الشباب المسلم هذا الدرس من هذا الشيخ الذى على أبواب عبور الثمانين من عمره ليكون لهم درسا في الصبر والاحتمال والرضا بما قدر الله وعدم التبرم بقضائه وقدره وأن يعينى الله حتى ألقياه وأنا جندى في هذه الساحة الطاهرة البرينة وما زال الأمل في وجه الله يحدونى والأمل في صدق مواعده يملأ كل جوانحي حتى لكأنى أراه بعينى أو أمسكه بيدي لأن الله جعل العقابة للمتقين وأسأله أن يجعلنى والاخوان المسلمين جميعا من المتقين المستحقين والمؤهلين لنصره ومعاونته .

رفضت أن أكون وكيلًا

أذكر أنني بعد مضي سنوات عرض على الامام الشهيد أن أكون وكيلًا لجماعة الاخوان المسلمين فلم أقبل مقسما له بأنى لست أهلا لهذا المكان . ولا أستطيع أن أملاً فراغه .. وحرام على أن أخدع الامام بقبول تلك المكانة فى الاخوان المسلمين .

كما عرض على فضيلته أن أتخذ مكتبا فى القاهرة فلم أقبل كذلك مبررا رفضى بأنى قد أنجح فى المكتب ويدر على دخلا وفيرا فيقول البعض إن الاخوان هم الذين أوجدوا لى كيانا فى عالم المهنة وهذا ما تأباه على أخلاقى ونشأتى وتربيتى إذ لا أرضى أن أكون لمخلوق على فضل فى هذه الحياة الدنيا أما فضل الله أولا .. ثم فضل المرشد ثانيا .. فالله يجزيهم عنى فيه أفضل الجزاء .

هذه قصة إتصالى بالامام الشهيد " حسن البنا " والاخوان المسلمين ولم يعدنا إمامنا فيها بالدنيا وإقبالها والورود وازدهارها والأزاهير ونعومتها ولكنه أوضح أن طريق الدعوة ملء بالأشواك والمتاعب والصعاب فمن يقبل عن بصيرة ولا يلومن أحدا . فلم يخدعه أحد بالمرة .

وهكذا لما قبلوا راضين ألف الله بين قلوبهم أجمعين حتى تعجب الناس جميعا من قوة الروابط التى تربط بين قلوب الاخوان جميعا حتى قال قائلهم : لو عطس أحد الاخوان فى الاسكندرية لشمته الذين فى أسوان وأقول لو تمنى أحد الاخوان فى أوروبا أمنية لحققها له أخ فى كندا ما دام ذلك فى حيز الامكان وما دام الأمر لم يكن فيه ما يغضب الله .. الله الذى التقى الاخوان عليه يتحابون فيه ويتباغضون .. ولا دخل للإمام الشهيد ولا لخليفته - الأستاذ الهضبي - فى هذه المعانى .

إننا لم نلتق على " البنا " أو الهضبي إنما إلتقينا على الله ولم نباع حسن البنا أو حسن الهضبي لكننا بايعنا الله حتى الذين بايعوا سيدنا محمد نبى هذه الأمة وأحب خلق الله إليه وكل من وضع يده فى يده إنما كان يبيع الله جل وعلا بدليل قوله تعالى { إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم } وما دمننا كمسلمين نؤمن بكل آية فى كتابه الكريم .. فليكن الذين يزعمون أن الاخوان يقدسون " حسن البنا " إننا لم نقدر أحدا لأن الله هو الملك القدوس ولكننا أحببنا " حسن البنا " وخليفته حبا ملك علينا كل جوانحنا لأنهما هما اللذان فتحا أعيننا على هذا النور وقادانا الى هذه العقيدة فى دقة وتوضيح .. فكيف لا نحبهما لله وفى الله فى غير ما تقديس أو ما يشبه التقديس ؟

هكذا عرفت المرشد الأول وهكذا عشت معه مريدا أو تلميذا أو متلقيا ومحبا ؟. وإن كان ما بى للإخوان من نعمة فمن الله حقا وصدقا إلا أن الامام هو الذى أخذ بأيدينا الى تلك القمة وأجلسنا الى المائدة فى وقت كان فيه المسلمون أضيع من الأيتام على موائد اللنام ولنن فات هذا الفضل من كان يجب أن يكون أهله ودعائه إلا أن { الله أعلم حيث يجعل رسالته } و { ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء } .

وزير مالية الاخوان

لقد ربانا الامام الشهيد على الزهد فى الدنيا وعدم التعلق بزخرفها ومغرياتها لأن ما عند الله خير وأبقى ولذلك لم يكن لدى الاخوان من الموارد المالية إلا ما وجود به هم أنفسهم كل على قدر طاقته . وكنت أعلم أن المساهمة فى هذه تبدأ من القروش الخمسة الى الجنيهات الخمسة شهريا اللهم إلا من بسط الله له فى الرزق فزاد على ذلك بما يوفقه الله اليه .

وظللت فترة " وزير مالية الإخوان " وما كان أسعدنى فى يوم أن أجد فى هذه الخزنة مائة وخمسين قرشا فقد كنت وقتها أرى أننا من الأثرياء إذ أن هذا المبلغ هو الفائض عن كل حاجات الخير .

وفقر بغير دين هو الغنى الكامل . كذلك ما كنت أسمح لأحد باستعمال التلفون إلا إذا دفع (ثلاثة تعريفة) .

وكان الداعية إذا ذهب الى لقاء أخوانى ليتحدث فى الدعوة أعطيه (ثلاثة تعريفة) .. منها ستة مليمات للذهاب ومثلها للعودة وثلاثة مليمات يشتري بها ما يروقه من الترمس والفول السودانى واللب الأسمر والأبيض . كنا حين ذاك أسعد أهل الأرض حبا ومودة ورضاء لا يشغلنا إلا دفع الدعوة للامام وكان عملى فى دار الاخوان يبدأ من بعد صلاة العصر الى ما بعد صلاة العشاء وبدون مقابل طبعا .

وبهذه المناسبة فالكثير من الناس يظنون أن المال هو كل شيء وإن كنت لا أنكر أن في هذا القول الكثير من الحق خاصة بعد أن قرأت لرسول الله صلى الله عليه وسلم (نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح) وقوله : (لأن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس) ولكني أعلم في الوقت نفسه أن الرجل هو الذي يأتي بالمال وليس المال هو الذي يأتي بالرجال . وإذا ضاع المال فمن المحتمل أن يستعيد الرجل مركزه المالي ولكن إذا ضاع الرجل فمن الذي يأتي بالمال ولذلك أمرنا أن نطلب قضاء الحاجات بعزة الأنفس . إذ استساغ بعض الناس أن يأخذوا أي مال مقابل أي عمل حتى ولو كان هذا العمل مما لا يجوز في عرف النفوس المؤمنة الكريمة أن يؤخذ عليه مقابل ما دام العامل في غنى عن هذا المقابل .

إذا استساغ بعض الناس هذا تخفيفا لدفع المواقفه عن نفسه فقد يظن أن كل الناس على غرارهِ . ولكن الله حمى الاخوان من الوقوع في هذا الحرج ضنا بدعوته أن تكون موضع المساومة وإنى هنا أتحدث عن نفسي وإن كنت أعتقد في الوقت نفسه أن الاخوان على هذا المستوى الرفيع مستوى الدعوة الى الله ابتغاء وجهه .

محاولة لرشوتى

قابلت أحد رؤساء الوزارات المصرية - ولا يزال حيا - لعمل خاص بالاخوان في زمن السادات وبعد أن تبادلنا الحديث إذا به يعرج على الناحية المالية ويفاجئني قائلا بأن الدولة تدعم كل الصحف والمجلات المصرية ومجلة الدعوة كمجلة إسلامية أحق المجلات بهذا الدعم وأدركت ما يهدف اليه الرجل فتملكت أعصابى وأجبتهُ في لغة عامية دراجة (ياشيخ .. سابق عليك النبى ما تكلمنيش في هذه الناحية) وتنتهت المقابلة وانصرفت .

و ذات مرة دعنتى إحدى المجلات الدينية التي لا تزال تصدر حتى اليوم الى ندوة دينية تعقد في دارها .. وحضرت وأثناء الحوار بالندوة ذهبت الى دورة المياه وعند خروجى من الدورة وجدت أحد موظفى ا لمجلة يقدم لى ورقة ويطلب منى التوقيع عليها . قلت : ما هذا ولماذا ؟ قال : هذا مقابل حضورك الندوة قلت : لو كنت أعلم أن الدعوة الى الله تدفعون لها مقابل لما حضرت .

قال : مصاريف الركوب والانتقال .. قال : ولكنهم جميعا يأخذون : قلت إننى لست من هذا الجميع أنا رجل على باب الله وانصرفت طبعاً دون قبض أو توقيع . ومرة كنت أؤدى فريضة الحج وفي (جده) قابلنى الأخ (م . ص) وما يزال حيا أطال الله في حياته وقال : إن كبيراً يريد مقابلتى ليس من الأسرة السعودية وإن كان له بها صلة فرحبت مؤملاً في خير للدعوة وتحدد الميعاد وذهبت قبل ا لميعاد بخمس دقائق وهى عادتى فى كل مواعيدى لا بد من الذهاب الى الموعد متقدماً خمس دقائق على الأقل وحل الميعاد واستدعى الكبير سكرتيره ودعانى للدخول فوجدت أحد أبناء المرحوم الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود موجوداً معه ولم يتحرك الرجل من مكانه حتى وصلت اليه أمام كرسيه فوقف ولعله فعل ذلك محرجاً وسلم وقد كنت ألبس شبشباً وجلباباً أبيض غير وجيه .

وجلس الكبير يتحدث عن الدعوة الإسلامية ثم عرج على مجلة الدعوة وكانت لم تصدر بعد وقال : إنه يريد تدعيمها فأدركت هدفه وقلت له مقاطعاً : سيادتكم طلبتم مقابلتى كداعية لا كجانب ولو كنت أعلم أنك ستحدث معى فى مسألة نقود كنت اعتذر عن المقابلة ولذلك أرجو أن تسمح لى سيادتكم بالانصراف فتلقى الرجل هذه الغضبة فى هدوء وقال : لم أقصد ما ذهبت اليه ولكنى كمسلم أردت تدعيم عمل إسلامى . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال ما معناه : (واستغن عن شنت تكن أميره) .

ولما انتهت المقابلة خرج والكبير الآخر معى حتى أوصلانى الى باب المصعد ولما ينصرفا إلا بعد أن أخذ المصعد فى النزول . وأذكر كذلك مرة أننى ذهبت الى أحد بلاد المنطقة العربية بمناسبة افتتاح موسم ثقافى وبعد ما تحدثت فى حوالى عشرة أمكنة جاءنى أحد الرسميين ومعه ظرف به خمسة وعشرون ألف درهم فقلت : ما هذا ؟ وظن الرجل أننى أستصغر المبلغ فقال : إن غيرك يأخذ نصف هذا المبلغ فقلت له : إنك فى واد وأنا فى واد آخر أنا لا آخذ أجراً على كلمة ألقياها فى سبيل الله وإن كان لا بد من دفع هذا المبلغ فضعه فى بنك من البنوك لحساب مجاهدى أفغانستان الأبرار . وطلبت بعض الصحف أن أكتب فيها متواصلاً بأجر فرفضت لأنى لست صحفياً أولاً

.. وسواء أكنت مصيبا أو مخطئا فإنه أفضل دائما أن يكون كلام الدعاة بلا مقابل فذلك أدعى لاحترامهم وأدعى أن يكون الكلام يبتغى وجه الله والله من وراء النية والقصد .

لقد كان لدروس الثلاثاء التي كان يلقيها الامام الشهيد أثر بالغ في تربية الرجال والشباب الذين كانوا يزحفون على المركز العام بالحلمية الجديدة قبل مغرب كل ثلاثاء زرافات ووحدا لا من القاهرة وحدها ولكن من المديرية القريبة والبعيدة كانوا يقبلون على المركز العام بوجوه مستبشرة وقلوب منشرحة ورغبة متلهفة وكان الامام رضوان الله عليه يصلى بهم المغرب جماعة ثم يبدأ الحديث في حوش المركز العام حيث الآلاف لا المناءات المستمعين الذين تعج بهم الدار من كل جنباتها وشرفاتها وما حولها وكأنا الناس في مهرجان تحفه الملائكة وتغشاها الرحمة وتحيط به السكينة لا شوشرة ولا ضوضاء والكل متعلق ذهنه وقلبا وعينا بلؤلؤ النصائح جواهر التوقيت وكأنهم كانوا ينتظرون “ حسن البنا “ من المهد أو من قبل عشرات السنين .

أو كأنما وجدوا ضالة حفيت أقدامهم في البحث عنها والجرى وراءها وكلت جهودهم حتى ساقها الله إليهم في صورة إنسان اسمه حسن البنا المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين ويظل الدر ينحدر من بين شفثيه الى أن يؤذن لصلاة العشاء فيصمت الشهيد حتى ينتهي المؤذن ثم يواصل محاضراته التي كان يتمنى الكل ألا تنتهي حتى صلاة الفجر ..

وقد أحس بخطر هذه الحركة النامية أعداء الاسلام خارج مصر قبل أن يحس بها كارهو المد الاسلامي في كل مكان فبدأت المكائد والمؤامرات التي أثرت فعلا على مواصلة المسيرة وبطء أثرها وإن لم تؤثر على حيويتها وبقائها .. فقد كان الاخوان يلقون دروس الثلاثاء داخل السجون وفشلت كل المحاولات التي بذلت لصرفهم عنها وكأنها ميراث يتلقاه جيل بعد جيل كابر عن كابر مجاهد عن مجاهد صابر عن صابر والله عاقبة الأمور .

وقد بدأت صورة دروس الثلاثاء بدءا متواضعا جدا فكان مريدو الامام الشهيد ومحبوه يذهبون الى منزله بالسبئية بعد محطة السكة الحديد بقليل وكانوا في حدود العشرات وكنا نجلس على حصيرة بيضاء في صالة واسعة شأن غرف المنازل القديمة . وكان الشاى يقدم إلينا في فناجين صغيرة جدا ملؤها رشافات قليلة لا عن بخل أو شح فما كان لبخل يعرف طريقة الى جيب الاستاذ أو يده سبيلا وإنما كانت حدود الامكانيات هكذا ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

ولو أنك رأيت الامام الشهيد تلك الأيام : عشرات على حصيرة ثم هو على المنصة في المركز العام بالحلمية يحاضر المناءات بل الألوف لعجبت غاية العجب أن “ حسن البنا “ الذى أصبح ملء السمع والبصر والسهل والجبل فى الاربعينات والخمسينات تواضعا وأدبا وعزوا عن الاضواء وبعدا عن الشهرة .

مسافر درجة ثالثة

كان الامام يدعو الى السفر معه فى بعض رحلاته داخل القطر ويسألنى هل السفر على حسابك أو على حسابنا ؟ فغن كنت (متريشا) من أتعاب قضية دسمة الأتعاب قلت : السفر على حسابك . وأقطع لهم تذاكر فى الدرجة الثانية حيث تعودت السفر والانتقال أما إذا كنت (مفرق الجيب) قلت السفر على حسابكم فكان يقطع التذاكر فى الدرجة ١ لثالثة فكنت أجلس ورأسى الى الأرض حتى لا يراى أحد من معارفى وأنا أركب الدرجة الثالثة التي كنت آنف ركوبها . وكان الاستاذ يبتسم لمنظرى الخجل حتى إذا ما طالت عشتى للإخوان أصبح ركوب الدرجة الثالثة عندى كركوب الأولى الممتازة دون حساسية أو تحرج .

كنت أحس بأننى قريب من قلب الامام الشهيد فما اختلفت يوما مع أخ أو رفعت اليه شكوى من أحد أو حملته شيئا من متاعبى الخاصة أو العامة وما أخرت مرة واحدة عن تنفيذ أمر أصدره الى مهما كبذنى التنفيذ من متاعب أو كلفنى من ماديات .

لم يكن فى الاخوان محام قبلى فكنت الوكيل الأصلى فى كل القضايا العامة للإخوان أو التحقيق فيها سواء كانت فى القاهرة أو خارجها كانت معرفتى بمصر لا تعدوا شبين القناطر والقاهرة أو المحاكم التى يكون للإخوان فيها قضايا .. فلما التحقت بالاخوان جبت القطر كله إما مع فضيلة الامام الشهيد وإما نيابة عنه .

الحلقة الخامسة

*** مواجهة بين حسن البنا وطه حسين فى جامعة القاهرة**

*** الإخوان يقبلون باليهود كأقلية وليس كحكام لفلسطين**

*** وضع الاعلام الحالى لا يبشر بأجيال تغار على عقيدتها وكرامتها .**

كان المرشد العام الأول “ حسن البنا “ زعامة عبقرية لدعوة إصلاحية أرادت أن توقظ الشرق والمسلمين .. دعوة هزت الأمة هذا لينهار كل زائف ودخيل على حضارتنا وقيمنا الاسلامية .

{ فأما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض } أرادها صحوة ضد التغريب والهوان والاستسلام تعيد للإسلام مجده وقوته اللذين غابا منذ زمان الخلفاء الراشدين .

كان يدرك جسامه المهمة التى نذر نفسه لها الطريق الى شرع الله يبدأ بإعادة تربية الأمة وتطهير النفس والعقل من احتلال القيم الدخيلة وتحرير النفس والعقل هما الطريق الى تحرير الأرض . كان يدرك أن غيبة الايمان من قلوب الناس هو بيت الداء الذى أتاح للفساد والضعف والهوان أن يستشرى فى جسد الأمة وكان يدرك أنه لو كان فظا غليظ القلب لانفضوا من حوله .

كان "حسن البنا " كما عرفه مريدوه روحا نقية وقلبا رقيقاشفاقا لكنه كان أيضا عقلا عبقرى أتاح له الله قدرة الفهم الصحيح والتحليل العلمى والاستشراف للمستقبل ومن هنا تبلورت شخصيته الزعامية وحضوره الإنسانى كقدوة . لقد أتى للناس بقطرات الندى الايمانى وفى وقت التهبث فيه الحلق من الظما للعدل والمحبة ونور الايمان .

فى هذه الحلقة يواصل الاستاذ المرشد عمر التلمسانى الإدلاء بشهادته حول عمر عاشه فى أتوتن الدعوة وهو هنا يواصل استشراف ذكرياته مع الامام الشهيد “ حسن البنا “ .. فيقول :

كان هذا الرجل يهتم بأبسط عادات مريديه ليكفل لهم الراحة وما ألفوه فى حياتهم فتزداد صلتهم به قوة وحبهم له عمقا . لن تجد أحدا عاشر المرشد ثم لا يذكر رفته ولماحيته فى هذه النواحي .

ذهبت معه مرة الى طنطا بدعوة من أحد وجهائها لافتتاح مسجد . وبعد الحفل والكلمات التى ألقىت ذهب الاخوان الى المسجد للمبيت فيه وانتحى فضيلته بالداعى فأخذنى أنا وأثنين من الاخوان الى دار الباشا حيث أدخلنا غرفة نوم غاية فى الفخامة فى التأتيت . فإذا بى أفاجأ بأحد الأخوين يحوّل : قلت : ما بك ؟ قال : هذه الرياش والأموال التى أنفقت فيها أما كان الأجدر أن تنفق فى سبيل الله ؟ قلت : يا أخى رحمنى ورحمك الله ما الذى جاء بى وبك الى هذا المكان قال : الدعوة الى الله قلت : ألا ترى بر الله ورحمته بك فى هذه الرحلة إذ هيا لك مثل هذه الغرفة التى تنام فيها ولعل أحدنا لم يحظ بالمبيت فى مثل هذه (النغمة) ألا ترى أن الأمر يستحق الحمد لله بدلا من الحوقة ؟

خيال المآته

وفى الصباح ذهبنا جميعا الى محطة طنطا لنأخذ القطار الى القاهرة وصلينا الفجر على رصيف المحطة ورذاذ المطر الخفيف يداعب وجوهنا وملابسنا . ووصلنا القاهرة وذهب كل منا الى منزله ليستكمل راحته وذهب هو وحده رضوان الله عليه الى مدرسة أم عباس فى السبتية ليلقى دروس الحصة الأولى التى كانت بجدول حصصه فى ذلك اليوم . رأيت كيف يجمع للمخلصين بين كثرة الاعمال وضيق الأوقات . كيف يجمع بينهما ومن يتوكل على الله حق توكله فهو حسبه . ألا إن فضل الله كبير عظيم وتمر الأيام ويصل أحد الأخوين اللذين كانا معى فى طنطا الى منصب كبير وتنتابه وعكة فذهبت لأعوذه ودخلت غرفة نومه فإذا بها فخمة حقا والبطاطين من أغلى الأنواع .. ونظرت اليه قائلا : عافاك الله .. فى رنة لها معناها : وأدرك الرجل معنى النظرة ورنه النعمة فعاجلنى : " اسكت يا أستاذ عمر " لقد أدرك الرجل بذكائه ما أهدف اليه .

وعادت به الذكريات الى أيام طنطا وافتتاح المسجد فيها والغرفة ذات الرياش الفاخر الثمين . رأيت كيف يفعل الله بالناس ؟ يجعل من يشاء منتجا ويجعل من يشاء عقيما ويثبت من يشاء بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة مع كل الناس وفى كل الظروف والمناسبات ويجعل بعض الناس كخيالات " المآته " تدور مع الريح حيث تدور بل إذا تمكن وبأسرع من هبوب الريح " اللهم ثبتنا على الحق " وأعنا على تحمل كل ما نلقاه مما يرضيك فى طريقنا اليك فليس لنا من أمنية إلا أن نلتاك . وأنت راض عنا كل الرضا . هذا الرجل ما كان اليأس يعرف الى نفسه سبيلا أبدا وكانت آماله أوسع من الدنيا وما فيها . يستخرج من اليأس أملا ويأتى من الضيق بالفرج لأنه كان موهوبا . وكان قلبه متعلقا برب السموات والأرض والملك والملوك . وكانت قوته واحتماله أقوى من الفولاذ الصافى النقى إن مدده كان من قدير على كل شيء بلا استثناء ولقد كان لكل قاعدة استثناء فإن { الله على كل شيء قدير } قاعدة بلا استثناء على الإطلاق .

درس فى القيادة

وذهبت معه مره الى مدينة طوخ إحدى مدن مديرية القليوبية وكان الحفل حاشدا وبهيجا والأصوات عالية والتهنئات مدوية وكل شيء على ما يرام . وانتهى الحفل وعدنا الى القاهرة فى الليلة نفسها وفى الطريق سألنى فضيلته : ما رأيك فى الحفل ؟ قلت : إن الصخب الشديد والأصوات العالية المدوية لا تطمئننى كثيرا كاطبل يدوى إذا ما طرقته فإذا نظرت داخله رأيته أجوف لا شيء فيه . قال : أسمع نحن على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه على الناس فى الأسواق . فلا يلقي إلا السخرية والايذاء فهلا نصبر على بطء الاستجابة . إننا لو خرجنا من هذه الآلاف بواحد فقط فذلك خير لنا من الدنيا وما فيها . هكذا كان يزرع الأمل فى قلوبنا وهكذا كان يبغى احتمال كل ما نلقاه فى سبيل الدعوة .

لا يعلمنا ذلك فى مكتبه أو محاضراته أو نظريا أو فلسفيا ولكن يعلمنا الثبات والتثبت والصمود عمليا فى تنقلاتنا معه فى القرى والداكر والكفور . أقدامنا تغوص فى الرمل والزلط والأرض الرطبة ومناديلنا تكاد تعصر من العرق الذى نجفقه من طول ما نمشى . كنا نبئت مع الاخوان على الحصر فى المساجد أو فى الأجران - إن تعثر المبيت فى المسجد أو المضيقة - الأكل أقله وأخشنه . كان الوفاء بالبيعة يلزما بالنزول عند رغبة من بايعناه فى غير معصية .

واليك مثلا من أمثلة الخلق الرقيق والتربية العملية الواقعية ذهبت معه يوما الى المنزلة وبعد الحفل سعدنا الى الطابق الثانى فى منزل لناخذ قسطا من الراحة إن كان فى تلك الرحلات راحة مادية وإن كانت مترعة بالراحة القلبية ودخلت معه الى حجرة بها سريران وعلى كل سرير ناموسية لأن المنطقة كانت زاخرة بجحافل الناموس التى لا ترتوى إلا من امتصاص دماء البشر وإن كنت قد قرأت فى بعض ما قرأت أن البعوضة تعيش ما دامت جائعة فإذا شبعت وامتألت ماتت .

ودخل سريرة وأرعى ناموسيته وفعلت مثلما فعل على السرير الآخر . وكان التعب والاجهاد قد بلغ مداه فأعتراني قلق وبعد خمس دقائق تقريبا سألتني فضيلته : هل نمت يا عمر ؟ قلت : ليس بعد . ثم كرر السؤال فترة بعد فترة حتى ضقت بالأمر وقلت في نفسي : ألا يكفي ما أنا فيه من إجهاد وقلق حتى تضاعف على المتاعب ؟ ألا تدعني أنام ؟ كان هذا حديثا صامتا يدور بيني وبين نفسي فصممت على ألا أرد على أسئلته موهما إياه أنني نمت . فلما أطمأن الى نومي نزل من سريره فى هدوء كامل وعند الباب أخذ (القباب) بيده وسار حافيا حتى وصل الى دورة المياه حيث توضأ وأخذ سجاده صغيرة وذهب الى آخر الصالة بعيدا عن الغرفة التى ننام فيها .. وأخذ يصلى ما شاء الله له أن يصلى ونمت أنا ما شاء الله لى أن أنام .

وصحوت وتبينت حقيقة الدرس العملى الصامت الذى مررت به ليلتى تلك .

مرشد واتاه الله جلدا فى طاعته .. فهو يخطب ويتحدث فإذا انصرف الناس ليستريحوا خلا الى ربه مصليا ومتهجدا وهو قادر على ذلك بما وهبه الله من احتمال على مواصلة الطاعات ليل نهار .

ومريد لم يشد بعد عوده ولم يصبح - بعد - قادرا على مثل حال شيخه وشيخ يعرف هذا فى مريده فيشفق عليه ولا يرضى أن يخرجه طبعاً لأننى إذا رأيته يقوم للتهجد لفعلت مثله ولو متحاملا على نفسي والله يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر وفضيلته يطبق التربية القرآنية على مريده فيطمئن أولا على راحته ثم يودى ما يقدمه لربه تعبدا وتقربا .

هذه هى التربية الواقعية والدرس العملى الذى يجب أن يعيش فيه كل من يتولى أمر شعب أو جماعة . راحة الشعب أو الجماعة أولا ثم راحته هو شخصيا لا فى المقام الثانى ولكن فى آخر المقامات .

كان إذا أنهى محاضراته اختلى بالصفاة ممن يتوسم فيهم الخير ودائما ما يصبح توسمه وتصديق فراسته . كان حركة دائبة لا تكل ولا تمل وروحا لا يكفيا أن تحيى جسد صاحبها ولكن تفيض من حيويتها على كل من تلقاه .

وفى يوم من الأيام طلع علينا " طه حسين " بكتابه " مستقبل الثقافة فى مصر " وتلقاه المغضون وخصوصا لاسلام بالتهليل والتكبير والدعاية الواسعة العريضة حتى تأثر كثير من الشباب بتلك الدعاية المسمومة وظنوها صادقة . وأحس الإمام الشهيد بالكارثة تعم فطلب من إدارة الجامعة أن تسمح له بإلقاء محاضرة ينقد فيها ذلك الكتاب .

وترددت إدارة الجامعة ولكن إلحاح الطلبة الداعين أرغم إدارة الجامعة على قبول الطلب فقدم طلبا مكتوبا موقعا عليه باسمه المعروف للجميع " حسن البنا " .

ولكن للأسف كانت إدارة الجامعة تافهة فى تصرفاتها إذ رفضت الطلب بهذا التوقيع واشترطت أن يكون باسم " حسن أحمد عبد الرحمن " .

والرجل فوق هذه الصغار وأكبر منها فلم يتردد وأجاب إدارة الجامعة لما أرادت لأنه لا يريد أن تقف الشكليات عقبة أمام الأهداف السامية الكبيرة .

وازدحم المدرج حتى ضاق بمن فيه ووقف حسن البنا المدرس الابتدائى يشرح كتاب " مستقبل الثقافة فى مصر " وخطورته على العقيدة حيث يرى طه حسين أن نأخذ الثقافة بخيرها وشرها حلوها ومرها إن كنا نريد أن نصل الى القرب من مستوى الغرب المادى والعلمى .

وظل الساعات العديدة ينتقد ويفصل ويبين مكامن الخطر فى ذلك الكتاب حتى ذهب كل أثر له فى نفوس الشباب وأهمل الكتاب وأعرض الناس عن قراءته فبارت سوقه فى مجالات التأليف والمكتبات وهكذا أنتصر مدرس إبتدائى على دكتور عالمى يسمونه عميد الأدب فى الشرق العربى وما هو بالعميد ولا بالمجيد وعرف الناس حقيقة طه حسين الذى سمى أولاده بأسماء فرنسية لأن الاسماء العربية الاسلامية لا تتفق ومزاجه الرقيق !.

نقد مؤدب

{ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم } وطوال هذه الساعات التي فند فيها الإمام الشهيد أضاليل ذلك الكتاب لم يمس شخص " طه حسين " بكلمة نابية أو لفظ جارح حتى لقد علمت أن طه حسين شكره على ذلك وأثنى عليه . إن التربية ليست بالأمر الميسور يسر التعليم قد يتعلم الانسان ثم لا يكون أكثر من كتاب أو كتب متنتلة وقد يعلم ولكن لن ينتج تعليمه علماء إنها لقسوة ساحقة للطالب أن يرى تصرفات أستاذه تخالف كل المخالفة ما يكتب وما يقول . إن من السهولة بمكان أن تعلم الطالب فريضة الصلاة أركانها ومبطلاتها ومستحباتها ومكروهاتها .. لكن من العسير أن تربيته على أنها (تنهى عن الفحشاء والمنكر) ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم " من لم تنته صلواته لم يزد من الله إلا بعدا " .

فهل يمكن أن تتصور بوعى أن هذه الفريضة الكبرى قد يكون أداؤها بشكلياتها سببا في البعد عن الله سبحانه وتعالى . ونحن نصلى إلا لنتقرب من رحاب الله بسبب تصرفاتنا قبل وبعد أداء الفريضة لذلك كان " حسن البنا " نابغة في تربية الإخوان على مفاهيم الصلاة قبل أن يكون معلما لشكلياتها وحركاتها . إنه علمنا أن أداء الصلاة قد يرد عنا المواخذة الظاهرة ولكنه لن ينفعنا بشيء إن لم نحرص على أهدافها ومراميتها حقا إنه مربى الجيل دون منازع . فالخشوع والصدق والتواضع كانت بين ما يشرحه الامام الشهيد ويحرص على غرسه في قلوب المريديه .

عداء عقائدى

إن الشيوعية والصليبية والصهيونية لا تكره أحدا بقدر ما تكره حسن البنا والاخوان المسلمين لأنهم العقبة الكأداء في إيقاف الزحف الشيوعى الى هذه المنطقة لأنهم يطبقون تعاليم دينهم علما وعملا . إنهم حريصون على التخلص من كل زحف عسكرى أو فكرى دخيل مسموم إنهم يستمتعون في أن تستمتع الشعوب الاسلامية بالحرية وانتشار حقوق الانسان واقعيًا ويحبون أن يتمتع المسلمون بخيرات بلادهم وفيها اكتفاء ذاتى لهم . إنهم يريدون أن تقوم العلاقة بينهم وبين حكامهم على المودة والحب والعدل والانصاف والاحترام . لقد علمنا حسن البنا أن للحاكم حقوقا على المحكومين منها السمع والطاعة والالتزام . كما شرح لنا أنه يجب على الحاكم أن يشيد حكمه على الحق والعدالة لا على البطش والتسلط . إن عمر بن الخطاب كان لا يحب قاتل أخيه زيد . وقد سأل هذا القاتل بعد إسلامه : وهل شعورك هذا يحرمنى حقى عندك ؟ فقال عمر : لا فقال الرجل : إذن لا يبكى على الحب إلا النساء . علمنا حسن البنا أن عواطف الحاكم - حبا أو بغضا - لا يجب شرعا أن تكون سببا في حرمان الرعية من حقوقها عنده وقد مر بى حديث لا أدرى مداه من القوة أن من يحاول لإذلال السلطان لا توبة له هكذا لم يكن الامام الشهيد أهابيا ولا ثوريا ولا انقلابيا بل كان داعية مصلحا ينشر الحب والسلام أينما حل أو سار . لكن بعض المسئولين فى العالم الاسلامى لا يدركون هذا وينزلون الاخوان منزلة الخصوم والأعداء ظنا منهم أن الاخوان ينافسونهم حكما وسلطانا وهم فى حقيقة الأمر لا يريدون إلا إصلاحا وإحسانا . ألا ما أبعد الشقة بين الاتجاهين .

حسبك الله كيف يلتقيان
وهو إذا ما استهل يمان

أيها المنكح الثريا سهيلا
هى إذا ما استهلته شامية

كامب ديفيد

أرى من المناسب هنا أن أتعرض لمعاهدة " كامب ديفيد " وإن كانت قد عقدت بعد استشهاد الامام بسنوات طويلة قد تقرب من الثلاثين . ذلك لأن موقف الاخوان المسلمين منها واستنكارهم لها كان من نتائج تربية الإخوان تربية سياسية على أسس عقيدية فالاسلام دين ودوله .

والمتتبع لتطورات إقامة إسرائيل على أرض فلسطين يرى أنها ترمى الى أبعاد عميقة الغور رغبة في القضاء على الاسلام . ومن ظن غير ذلك فهو لا يحس بالنار إلا بعد أن تعلق بملابسه وتحرق أوصاله . لقد كان في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية أماكن تتسع لهذا الشعب لو كان الغرض الحقيقي هو إقامة دولة لهم وقد تجد هناك المناخ المناسب لمثل هذه الدولة العجيبة الميلاد . ولكن التخطيط الذى وضع وبدىء تنفيذه بدقة فائقة لا يزال يأخذ طريقه المرسوم له لتحقيق الهدف المقصود منه فى هذه المنطقة العريقة فى إسلامها .

بدأت إنجلترا بإحلال المهاجرين اليهود فى فلسطين وسلحتهم بكافة الأسلحة وفى الوقت نفسه أصدرت القوانين المشددة فى تجريد الفلسطينيين من كل سلاح حتى سكاكين المطابخ .

وبدا اليهود فى حماية إنجلترا يقومون بدورهم فى حماية الدولة المنتدبة على فلسطين - إنجلترا - وبدأت مقاومة الشعب الفلسطينى يؤيدها المجاهدون من الاخوان كما سيأتى ذلك فيما بعد وياليتنا نفهم ويا ليت بعض المسئولين فى العالم العربى والاسلامى يفهمون أو يصححون فهمهم أو ينظرون تحت أقدامهم للحفر الغائرة فى بطن الكيد والخبث الصليبي والشيوعى والصهيونى ليلمسوا بأنفسهم الهاوية التى تعد لهم ولشعوبهم لمن يظنونهم أصدقاء وهم شر من الأعداء .

أنا لا أشك لحظة فى أن كل مسؤول عربى مسلم لن تغيب عنه هذه الحقائق المرة المداهمة . بل لعلمهم يعلمون عنها أكثر مما نعلم ثم تتمكنى الحيرة والمرارة .. كيف يتصرفون ؟ .

إنهم إن ظنوا أنهم وأسره ناجون من هذا المصير التعس فهم فى غفلة فما أيسر أن يجحد هؤلاء الأصدقاء كل الباليين التى فى حوزة هؤلاء الأعداء وبكل بساطة لأتفه الأسباب المفتعلة المختلفة .

إنهم لا عصمة لهم ولا وقاية بعد الله إلا الصلح مع شعوبهم وتدعيم روابط الثقة بينهم وبين شعوبهم متنازلين عن الكثير مما يظنونه حقوقا لهم ولا حق لحاكم فى هذا الوجود على شعبه إلا السمع والطاعة ما أقام فيهم الدين والعدل والانتصاف وكفهم عن المعاصى وعن المحرمات .

إن المخطط الصهيونى سينتهى بنا جميعا الى جعل وضع اسرائيلفى هذه المنطقة - فى فلسطين - أمرا طبيعيا لا استنكار له ولا محاولة لأزالته ثم ما يتبع ذلك من مصائب وويلات لا نهايه لها .

التطبيع مع اليهود

إن تطبيع العلاقات أى جعلها طبيعية أمر خارج عن طبائع الأوضاع البشرية هل يتصور أحد أن اليهود يمكن أن تكون علاقتهم طبيعية مع إنسان غير يهودى ؟ .. كيف يمكن لبشر أن يغير من السنة الكونية ؟ إنها محاولة خاتمتها الدمار والخراب للمسلمين جميعا إننا مسلمون والله الذى نؤمن به يقول : { لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود } إنه تقرير إلهى لا لبس فيه ولا غموض . إن العداوة منهم وليست من جانبنا كما هو صريح نص الآية فهل نحن أعلم باليهود وكراهيتهم للمسلمين من الله ؟

إن الاخوان المسلمين الذين تملأ قلوبهم رحمة الاسلام وسلامة لا يقولون برمى إسرائيل فى البحر ولا يقولون بشنق آخر اسرائيلى بأمعاء آخر شيوعى ليس سفك الدماء من طبيعة الاسلام ولكننا نقول إنهم يستطيعون العيش فى فلسطين كشعب فلسطينى أما كحكام يريدون أن يهددوا المنطقة كلها فلا .

إن كل الأقليات في كل أرجاء العالم تعيش مع الأكثرية في هدوء ونام ولكن كيف يمكن التصديق بأن أشد الناس عداوة للمسلمين يمكن أن يكون حاكما عادلا مع المسلمين من رعيته هيئات .

ومتطلب في الماء جذوة نار ومكلف الأيام ضد طباعها

فلا بد أن تجمع شعوب المنطقة وحكامها على التخلص من هذا الأخطبوط الذي يمتص دمها رويدا رويدا وأن تقضى على هذا السرطان الذي يهدد كيانها إن الحر الأبى يموت كريما أو يحيى كريما وبين أن يموت الانسان كريما تشهد له الأجيال بالبطولة والخلود وبين أن يحيا مهانا ذليلا إلا الرضا بالحياة الخثيثة والضعة المحضة . ألا يمكن أن يقوم سلام إلا على أساس استبقاء الناهب ما نهب في حيازته وملكيته ؟ أى سلام هذا والهول كل الهول أهون منه ؟ أى سلام هذا مهما كانت ظروفنا ؟ إن جيشنا العزيز استطاع أن يعمل شيئا كان من الممكن أن تكون له ثماره في جميع أرجاء هذه المنطقة فما بالناس لو أجمعت شعوب المنطقة وحكامها على خطة موحدة لا شك أن النتائج ستكون أعز وأكرم ولكن الناس من خوف الفقر في فقر ومن خوف الخوف في خوف . ومن خوف الذل في ذل.

إن شبابنا يمكن أن يتربى على مقومات الرجولة وصناعة المواقف الخالدة ولكن ولعلها وسائل التخطيط الصهيوني - بقاء أجهزة الاعلام على ما هي عليها يبشر بقيام جيل يغار على عقيدته وكرامة بلاده وحريتها أو يفكر في حقوقه المسلوبة كي يستعيدوها . وكلما قام الشباب بتهينة نفسه للمواقف الفاصلة بينه وبين إسرائيل ومن وراءها لا حقته الضربات والمطاردة في كل بلد من بلاد منطقة الشرق الأوسط أو حتى أندونيسيا وما حولها .

إن التطبيع الذي يرفع التكليف سيكون أكبر عون لإسرائيل على تحقيق مطامعها آمنة مطمئنة في حماية القواتين الملحقة بمعاهدة السلام .

إن العمل الصالح هو الذي تبقى آثاره وهذه المؤتمرات الاسلامية التي تقام في جميع القارات رغم ما يعتريها من غيبش . هي أثر آثار الامام الشهيد لجمع كلمة المسلمين وما أخالها إلا سأتى ثمارها في يوم من الأيام . إذ من الخير أن يجتمع الدعاة دوما في الحين بعد الحين يتعارفون ويتعاونون ويشد بعضهم أزر بعض . وأول الغيث قطرة ثم ينهمر والله في عون العبد ما دام العبد يعمل ويحاول حتى إذا استنفد العبد كل حيله ووسائله الأرضية وعلم الله منه الصدق والاخلاص تدخلت يد القوى العزيز { أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلهم خلفاء الأرض } لا أحد سوى القادر المقتدر القدير الكافي . وإنا في صدق وعده لموقنون وإن كان لا يعجل لعجلة عبده .

الحلقة السادسة

*حسن البنا هو صاحب أنقلاب 23 يوليو .

* دعوة الاخوان المسلمين بدأت في الاسماعيلية بستة رجال .

*دماء الاخوان كانت أول دماء روت أرض فلسطين.

يفجر الأستاذ عمر التلمساني في هذه الحلقة قضية العلاقة بين الإخوان وثورة 23 يوليو ..

يبدأ بالجنور حيث يتصدر شباب الإخوان كتائب الفدائيين في الحرب العربية الاسرائيلية الأولى عام 1948 م.

وحيث يخوض المرشد الأول معاركه القوية في مواجهة الاقطاع والفساد السياسى والانجليز وهو يذهب بتحليله لمسار تلك المرحلة الى أبعد مما كان يتصور جيلنا فيقول : إن حسن البنا بصوفيته هو صانع انقلاب 1952 . وهو ينفي أن الإخوان بادأوا نظام 23 يوليو العداء

بل إنهم عملوا على دعمه وحماية البلاد من عمليات التخريب انتصارا لإرادة التغيير . وهو يرد على خصوم الاخوان المسلمين مدافعا ومفندا وشارحا لمنطلقات فكر الاخوان كما شارك في إرسالها جنبا الى جنب مع المرشد الأول حسن البنا .

كيف بدأت الدعوة

يقول الاستاذ عمر التلمساني : لا بد أن نعرض لحياة الامام الشهيد لنعرف كيف اختمرت دوافعها في نفسه وكيف بدأ العمل من أجلها . ولد " حسن البنا " عام 1906 في مدينة المحمودية - إحدى مدن مديرية البحيرة - وهي أقرب الى الاسكندرية منها الى القاهرة وقد نشأ في بيئة دينية لأن والده المرحوم " أحمد عبد الرحمن البنا " كان من العلماء الزاهدين وقد اشتغل كثيرا بعلوم السنة وله فيها مؤلفات آخرها " الفتح الرباني " في شرح المسند للإمام أحمد بن حنبل وهو لا شك مؤلف ضخمة الفائدة عزيز النفع للمشتغلين في ميادين السنة وعلوم القرآن في هذا اللقاء الروحي نشأ إمامنا الشهيد ولم يعن كثيرا بكتابة المؤلفات . فضل عليها تأليف الرجال وإيجاد المجاهدين . وقد كانت إهتماماته منذ حداثة سنه موجه الى الناحية العملية .. فأنشأ خلال دراسته الأولى مع زملائه جمعية (الأخلاق الأدبية) ومن اسم الجمعية تستطيع أن تتبين ملامح اتجاهاته في باكورة حياته .

حديث مع الأطفال

وكان كريم الأخلاق يألف ويؤلف لم نره عابسا ولا يزور عن محدث أو متحدث . الأدب كان طابع كل معاملاته مع الصغير والكبير ذهبت معه مرة الى مدرسة المحمدية الابتدائية بناحية العباسية ليلقي محاضرة هناك وطلب مني أن أتحدث إليهم فنظرت اليه متعجبا وقلت : لم يبق إلا أن أتحدث الى أطفال وأنا الذي أترافع أمام القضاة والمستشارين : فابتسم ابتسامته الحلوة البديعة وقال : خل عنك ونزل من فوق منصة الفصل حيث توجد السبورة ووقف وسط الأطفال يتحدث إليهم وكأنه من أترابهم بلغتهم التي يعرفونها وبأسلوبهم الذي يتحدثون به وما انتهى حتى عجبت من التفات الأطفال حوله وتعلقهم به وكأنهم لا يريدون أن يفارقهم ويفارقوه للهجة الحنان التي كان يتحدث بها وللأدب الجم في إغضائه عن الكثير من (عفويتهم وعبثهم الصبائي) . ثم أنشأ جمعية منع المحرمات والاسم يشير الى أهدافه فقد فشلت المخدرات وكثر اليونان والأروام الذين يقيمون " الخمارات " في كل قرى مصر يبدأ الواحد منهم مفلسا ثم ينتهي به الأمر الى ثراء يستطيع به الاستيلاء على كثير من أرض الفلاحين المنحرفين .. هذا إن لم يستعن على رواج تجارته ببعض الغانيات من بنات جنسه لتتمكن المصيدة من الايقاع بالفلاحين في بساطة .

رأى فضيلته أن منع المحرمات من أولى الخطوات لإنقاذ الفلاحين مما يراد بهم وهم عنه غافلون والتحق في فجر حياته بمشايع الطريقة الحصافية . ولا شك أن هذه النزعة الروحية تدل على صفاء النفس وتعلقها بمن سواها وألهمها تقواها . إن الصوفية عندى أرقى مراتب الايمان على الصورة التي هي خليفة بها . تجرد من علانق الدنيا دون مقاطعتها وتفرغ لطلب الآخرة دون قعود عن عمارة الدنيا فهي مزرعة الآخرة ولن نحصد هناك إلا ما نزرعه هنا .

الصوفية هي ا لرهبة من الله لا من الخلق هي اليقين بأن ما يصيبنا ما كان ليخطئنا وما أخطأنا ما كان ليصيبنا . هي إرجاع كل الأمور اليه دون خوف من آدمي لا يملك لنفسه نفعا ولا أذى ما دام السالك طريق الله طاهر الذيل عفيف النفس زاهدا في كل مافي أيدي الناس مطمئنا الى ما عند مسبب الأسباب .

الصوفية ذروة الايمان من تقى وجراة وإقدام وإخلاص .. وليست الصوفية دق الدفوف وإعلاء البيارق وجمع النذور (والله لا يقطع عادة) هكذا أخذ أماننا الشهيد الصوفية فلما أغرته إنجلترا بالمال ليحاضر في الديمقراطية .. سألهم : كما أفهمها أم كما تريدونها ؟

قالوا : نحن فى حرب وفى حاجة الى الدعاية من أمثالك .. فادار لهم الظهر وانطلق ينشر دعوته . ولما هدده الحاكم آنذاك استخف بتهديده وعالج مبادئه بالنصح والارشاد ولما حاربه الاقطاع ثبت فى مكانه وكتب الله له الفوز . إن حسن البنا بصوفيته هو صانع “ انقلاب 1952 “ وإن كانوا يتهموننا اليوم بأننا أعداء هذا الانقلاب .

بذور التغيير

إن السلطة لم تقتل ولم تحاكم ولم تعتقل أى ضابط من الضباط الاحرار . لكنها سجنّت الإخوان واعتقلتهم واغتالت مرشدهم لأنه كان يعمل ظاهرا وهم يعملون فى الخفاء إن الامام الشهيد حرث أرض العقول والنفوس بتوجيهاته وألقى بذور التغيير فى أذهان الشعب مما جعل الشعب فى لهفة الى التغيير فلما تحرك الضباط الاحرار بالاتفاق مع الاخوان المسلمين وجدوا شعبا متلهفا الى حركتهم مهيا لا انقلابهم فاستقبلهم بالدعاء وقام الإخوان المسلمون بحراسة كل المنشآت الأساسية فى البلد خوفا من أن تتعرض للتخريب ممن كانوا يكرهون هذا التغيير ثم لا يجد خصوم الإخوان تهمة يوجهونها إلا أنهم أعداء ذلك الانقلاب .

وكم ذا بمصر من المضحكا
ت ولكنه ضحك كالبكاء

ثم أنتقل “ حسن البنا “ الى مدرسة المعلمين فى دمنهور عام 1920 ليتخرج فيها مدرسا إلزاميا . لكن همته ومشاعره الفياضة وآماله العراض كانت فوق هذا المستوى بكثير فما أن تخرج فى هذه المدرسة حتى التحق بمدرسة دار العلوم عام 1923 فى القاهرة حيث تخرج فيها عام 1927 وكان ترتيبه الأول . ومن المفارقات اللطيفة أن ناظر مدرسة المعلمين . كان المربي الفاضل المرحوم عبد العزيز عطية ثم تتلمذ هذا الناظر على يد طالبه فى دعوة الاخوان المسلمين .

وتميزت دعوة الاخوان المسلمين عن كل الدعوات الاسلامية ببعدها عن الخلافات الفرعية والمنازعات الجانبية وترك خصومة ينادون منه كما يشاءون دون أن يدخل معهم فى عراك . فالدعوة التى أقامها فى ذى القعدة عام 1347 الهجرى - مارس 1928 الميلادى بدأت دعوة الاخوان المسلمين فى الاسماعيلية على ضفاف القنال مكونة من ست رجال : الامام الشهيد ، الأخ الصولى ، والأخ حسب الله وغابت عن ذاكرتى بقية الاسماء ولعلنى أتذكرها أو أعثر عليها فأضيفها الى هذه المذكرات .

مصحف وسيف

كانت جهوده مركزة على تنشئة جيل يعتنق دينه على أنه دين ودولة ومصحف وسيف وعبادات ومعاملات وتربية وأخلاق سياسة واقتصاد اجتماع وقضاء وكل شئ فى هذه الحياة . نظام شامل وقانون كامل ينظم الحياة فى أسمى مراقبها الى اخر مطالبها حتى الدخول فى دورة المياة وبدأت دعوة الاخوان المسلمين تصل الى قلوب الشباب والعمال والفلاحين وسائر طبقات الأمة .. بل ومن بعض أبناء الأثرياء من عائلات عبد النبى وعبد الرازق والدلة ورأى منها المسلمون شيئا جديدا لم يألّفوه فيما كان مطروحا على الساحة الاسلامية من مذاهب وآراء .

إذ جمعت الدعوة كما يقول فضيلته كل المذاهب والتيارات (دعوة إسلامية شاملة) وفى العام 1932 انتقل حسن البنا الى القاهرة ولم يغفل عن المديرية أو المحافظات بل كان دائم التنقل بين قراها ودساكرها شارحا لهم أن دعوة الاخوان المسلمين ليست دعوة مقصورة على مصر ولكنها دعوة للناس جميعا فبدأ يتصل بالبلاد الاسلامية ولو طالبت به الحياه لأقام فى العالم كله شعبا للإخوان لأن هذا هو الاسلام { يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا } فالاسلام دعوة عالمية ليست مقصورة على جنس دون جنس ولا لغة ولا لون دون غيرهما . ومن كانت هذه همته فلا عجب أن يصل الى بغيته . لقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمل أبو بكر الراية ثم عمر

وعثمان وعلى . ووصلوا بالاسلام الى ما وصل اليه وقد ارتد ضعاف الايمان وتنبا من تنبا وظنوا بالاسلام الظنون . وعلى قدم هؤلاء الأبرار اغتيل حسن البنا فحمل الراية حسن الهضيبي ولقى ربه فتعاون الإخوان على حملها لأننا لم نقدر حسن البنا وما كان هذا هدفنا ولكن كان الله غايتنا وما كان حسن البنا إلا إنسانا يموت كما يموت أى إنسان . ولكن دعوة الله التى أنزلها على محمد صلى الله عليه وسلم وتكفل بحفظها .. فليس الشأن شأن حسن البنا أو أى مرشد ولكن الشأن دين تكالب عليه خصومه ويخشى الإخوان عليه فهم يحمونه بأرواحهم سواء أكان هناك مرشد أو لم يكن . فالذين يتهمون الإخوان بتقديس حسن البنا قلوبهم منكرة وأفهامهم معوجة وعقولهم ليست على سنن رتيب .

ومما يقطع بعالمية دعوة الإخوان المسلمين أن مرشدهم دعاهم للجهاد كى ينقذوا بلدا إسلاميا من أيدى أشد الناس عداوة للمسلمين ولبنى الإخوان النداء فكانت دماؤهم الطاهرة أول دماء روت أرض فلسطين الشهيدة ولولا أنالمسؤولين فى هذه المنطقة تقاعدوا وتكاسلوا واكتفوا بالتصريحات النارية والأحاديث الملتهبة لكان الحال غير الحال فى فلسطين لم يكتفوا بالقعود عن نصره فلسطين عمليا بل حاربوا الإخوان المسلمين فى كل مكان وكأنما الإخوان أجرموا فى نظر هؤلاء المسلمين يوم أن تصدوا لليهود تصديا كان من الممكن أن يقتلهم من المنطقة اقتلاعاً .

ولكن ماذا عسى لمثلئ أن يقول إلا ترديد قول الشاعر :

من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يفعل من قد غص بالماء

والأمر لله من قبل ومن بعد وسيرون من ربهم حسابا لا يخطر لهم على بال .
وكان بودى أن أتحدث عن كيف بدأت الدعوة وكيف كانت تتم ولكنى أترك هذا لما وقر فى نفسى من تعاليم الامام الشهيد ولا أزال أذكره حتى اليوم . فقد صرح فضيلته الناس بدعوته على أنها كما يقول :

أضوأ من الشمس وأوضح من فلق الصبح وأبين من غرة النهار وأنها دعوة بريئة نزيهه لا ترقى اليها الشبهات بعيدة عن الاغراض والاهواء فلا يريد الأخوان من الناس أجرا ولا ثناء ولا حمدا ولا طبلا ولا زمرا وكانوا يحبون من كل قلوبهم أن يكونوا التقياء الأخفياء الذين لا يعرفون إذا حضروا ولا يفتقدون إذا غابوا . وحسبهم أن يعلمهم الله ويراهم حيث يحب ويرضى كان حسن البنا يحرص على ان يخاطب الناس بعواطفه الرقيقة بعيدا عن التعقيدات اللفظية أو الأساليب الأفلاطونية .

هكذا علمنا أن نفنى فى هذه الدعوة لنكون نحن هى ولتكون هى نحن . وليس معنى هذا أن نتمنع عن هذه الدنيا فلا نأبه بها .. أبدا فالإخوان يمشون فى مناكب الأرض ويأكلون من رزق الله أطيب ما يفيضه عليهم ولكن إذا تعارض أى شىء من مطالب الدنيا مع ما نحب للدعوة غبنا عن هذه الدنيا وعشنا فيما يطلبه الله منا وما أظن بعد منهج الكتاب والسنة من وضوح ويتجنى بعض الناس عن عمد أو غفلة فيتهمون الإخوان بأنهم يعتبرون من ليس منهم غير مسلم !

إقتراء على الإخوان

وهذا منتهى الاقتراء على جماعة هى أبعد الناس عن هذا الفهم السقيم . إننا نعتبر المسلمين جميعا مسلمين موحدين وأن إيمانهم بالله إيمان راسخ لا تشوبه شائبة . وعندما فصل بعض أعضاء اللجنة التأسيسية لجماعة الإخوان المسلمين قال الاستاذ الهضيبي مرشد الإخوان حين ذاك : إننا لم نفصلهم لشك فى دينهم أو مغمز فى خلقهم ولكنهم فصلوا لأنهم خرجوا على نظام الجماعة الأمر الذى لا يستقيم بدونه جماعة أو حزب أو هيئة من الهيئات .

إننا نتعامل مع المسلمين جميعا فقد يكون بعضهم أقوى إيمانا من بعض الإخوان وكل الذى نراه فى المسلمين أنهم أهملوا تعاليم دينهم وغفلوا عنها ولم يتعاملوا فيما بينهم بها فدعاهم دعوة الإخوان المسلمين الى العودة اليقظة المتحركة فى تناول شئون حياتهم كلها على

أساس هذا الدين الحنيف إن دورنا مع الناس عن طريق هذه الدعوة أن نوقظ نائما أو ننبه غافلا كما يفعل المؤذن في اشعار الناس ان وقت الصلاة قد حان .

إننا لم ندع يوما أننا خير من غيرنا .. هذا الى جانب أننا لا ننتهم أصحاب الدعوات الأخرى أنهم كذا أو كذا ولكننا نناقش هذه الدعوات نقاشا موضوعيا على اساس من المعقول .

إن هذه المذكرات وخاصة ما تعلق منها بدعوة الاخوان المسلمين كلها مما تعلمته على يد إمامنا الشهيد وما علق بالذهن من محاضراته ورسائله . لم أرجع فيها الى مراجع ولكنى أردت أن تكون اختبارا لما حصلته من إمام هذه الدعوة وهل لا تزال لتلك الحصلة آثارها وبصماتها على الذهن والتصرف . ام باعدت الأيام بينى وبينها ؟ رأيت أن تسجيل هذه الملاحظة ضرورى وإن كنت لم أتقيد فى مذكراتى بنظام رتيب فقد أتحدث عن أمر ثم أعود اليه فى مكان آخر إذا دعت المناسبة التى تربط بينه وبين تلك الذكريات . وجل من لا ينسى ولا يغفل عن شاردة أو واردة . والخطأ أمر مفروض فكل ابن آدم خطأ وخير الخطائين التوابون وإنى لأشكر من قلبى من يلفتنى الى ما غاب عنى أو تصحيح خطأ وقعت فيه عن غير قصد ولا إصرار عليه .

انتشار الدعوة

بدأ إمامنا الشهيد دعوته بالتنقل بين " القهاوى " والمحلات العامة يحمل تحت إبطه سبورة صغيرة يستعين بها على شرح ما يريد ونظرا لما وهبه الله من أسلوب محبب الى القلوب عند الكلام عن الدعوة تراحم عليه أصحاب المقاهى بالاسماعيلية كل يريد أن يكون الحديث فى مقهاه .

وكانت هذه الوسيلة تجرى يوميا بعد الفراغ من عمله فى المدرسة وظن الناس فى أول الأمر أنه واعظ من الذين ألفوهم وإن كان يتميز عنهم فى العرض والأسلوب حتى شركة قتال السويس على ما كان فيها من الدهاء المفكرين خدعوا بهذا المنظر فى أول الأمر وساهمت الشركة فى إقامة مسجد للجماعة بالاسماعيلية بملحقاته من مدرسة أمهات المؤمنين وغيرها من المؤسسات الاجتماعية وتحضرنى حادثة طريفة إذ كان أحد الاخوان يعمل سائقا بالشركة وكانت له دراجة يحضر بها يوميا من منزله الى مقر الشركة قبل الموعد المحدد للعمل فكان موضع تقدير من رؤسائه ثم بدا هذا الأخ يتأخر عن موعد العمل فدهش رئيسه وسأله عن سبب تغير عادته الدقيقة .. فقال الأخ : كانت لى دراجة أحضر بها قبل الميعاد ولكنى دعيت للمساهمة فى عمل من أعمال الاخوان فبعت الدراجة وقدمت ثمنها لفضيلى المرشد وأنا اليوم أحضر على قدمى فأضطر للتأخر عن موعدى وقد ر له رئيسه هذه الأريحية فاشتري له دراجه جديدة وعاد الأخ الى المحافظة على مواعيده الدقيقة ولعل هذا الحادث يدلنا على مدى اقتناع الاخوان بالفكرة والثقة فى مرشدها والاستجابة الفورية لكل ما كان يدعوهم اليه من الانفاق فى سبيل الله ثم بدأ الاجتماع بالاخوان فى المسجد الجديد الذى كان يزدحم ليليا برواده للاستماع الى محاضرات فضيلى المرشد فلما انتقل الى القاهرة بدأت الاجتماعات فى مساء كل ثلاثاء بالمركز العام الذى أذكر أنه تنقل ما بين منزله أولا ثم الى دور أرضى فى حي السيدة زينب ثم الى لوكاندة البرلمان فى العتبة الخضراء ثم أستقر درس الثلاثاء أخيرا فى المركز العام فى الحليمية الجديدة .

فى هذه الفترة بدأ طلبة الجامعة ينتبهون الى هذا الحدث الخطير فكان الجامعيون منهم يبتئون الدعوة فى كليات الجامعة بين زملائهم الذين بدأ عددهم يتزايد مع مرور الأيام الى أن وصل رأى العام الاسلامى فى الجامعة الى أن ينجح كل أو أغلبية مرشحي الطلبة الاخوان فى اتحادات الطلبة الأمر الذى أزعج الحكم والأحزاب التى أحست أن الشعب أخذ ينحو ناحية جديدة بعيدة عن فكرة الأحزاب وبدأت مقاومتهم للاخوان وفكرة الاخوان وفى الوقت نفسه بدأ الفاهمون فى القرى والأرياف ينتقلون بين أهليهم وأصدقائهم يبشرون بالنور الجديد فقامت شعب الاخوان فى قرية بعد قرية ثم تتالت المناطق ومراكز الجهاد فى كل أنحاء القطر وهنا أدرك أعداء الاسلام خطورة هذه الدعوة عليهم وبدأ التدبير السىء الخبيث ضد هذه الجماعة الطاهرة وكل يحاول القضاء على هذا المد الجديد لكنها محاولات باءت

بالفشل . وكان الطالب الجامعى أو الأخ الداعى فى المدن والقرى إذا ما استوثق من صدق إيمان محدثه يقوم بتوجيه الدعوة اليه للقاء فضيلة المرشد ليقدم بيعته على العمل فى سبيل الله لا فى سبيل حسن البناء أو جماعة الإخوان المسلمين .. بدليل أن البيعة كانت تختتم مع المرشد بأنه لا سمع ولا طاعة إذا أمر بمعصية مما يقطع كما قلت بأننا لم نبائع شخصا لذاته ولكن كنا نبائع الله عز وجل { إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما } .

ثم ظهرت مجلة " الإخوان " و " النذير " وصحيفة الإخوان اليومية وكان من أهم عوامل الدعاية للإخوان المسلمين مهاجمة الحكم والأحزاب والاقطاع والصليبية والشيوعية والصهيونية ومحاربتهم للإخوان فى غير ما ترفق ولا هودة . وعرف الناس من هذه النواحي أكثر مما عرفوه عن الإخوان ذاتهم . فالحق يزيده محاربوه وضوحا فى ضمير الناس . أضف الى هذا تنقلات الامام الشهيد المتواصلة للأقاليم ومن كان يرسلهم من الدعاه فى شتى أنحاء القطر .

مراحل الانضمام الى الجماعة

كانت صلة الناس بالجماعة تتم على مراحل فهناك الصديق الذى يحب ولكن لا يشارك وهناك المنتسب الذى لا يمارس الكثير من أعمال الجماعة ثم الاخ الذى يبايع ويتناول أعباء الدعوة فى هودة وهناك الاخ العامل الذى يرى أن أهله وماله وحياته ملك للدعوة إذا ما تطلبه موقف من المواقف وستأتى إن شاء الله فيما يلى الصفات التى يجب أن تتوفر فى الاخ العامل وحسبك أن تعلم أن أحد إخوان محافظة الشرقية أرسل ابنه مع المجاهدين فى فلسطين حيث استشهد . فلما ذهب الامام لتعزيته سأله : هل أتيت لتعزىنى أم لتهنئنى إن كانت الأولى فارجع مشكورا وإن كانت الثانية فأهلا ومرحبا لأنك طالما تحدثت عن مكانة الشهداء عند الله وأرجو أن يكون ابنى هناك وأن يلحقنى به خاتما لى بالايमान .

وبهذه المناسبة كنا نسمع المنشد يقول لا إله إلا الله عليها نحبا وعليها نموت وفى سبيلها نجاهد وعليها نلقى الله .

أما أيامنا هذه فنرى منشدى الفجر لا يذكرون عبارة (وفى سبيلها نجاهد) هل نسوا هذه الكلمات أم يتعمدون البعد عن كلمة الجهاد فرارا بأنفسهم من تبعاتها وإن كان لا حذر ينجى من قدر أم أنهم مأمورون بأن لا يتعرضوا لكلمة الجهاد ؟ من الذى أمر ؟ لست أدري وإن كان الأمر ليس فى حاجة الى علم أوو دراية وهكذا تتسرب القيم الدينية التى تربط المسلم بعقيدته فترة بعد فترة حتى يصبح الاسلام طقوسا وأشكالا خاوية من الأصل الذى من أجله جاء الاسلام لاصلاح حال العباد والبلاد .

ولعل دعوة الإخوان المسلمين ما قامت إلا لدرء هذه الأخطار التى تنخر فى عقيدة المسلم دون أن يحس بالهواية التى تحفر تحت قدميه حتى يتردى فى أعماقها بعد حين .

ليس هذا فحسب ولكن ما جاء من سينما ومسرح وتلفزيون وإذاعة لا هم لها إلا دفع المسلمين الى لشباك والتقليد الأعمى بحجة المدنية والحضارة والقوة وما فى الاسلام من عيب أو نقص ولكن المصيبة فى بعض المسلمين . إنى لا أرى أن دعوة الإخوان جاءت كرد فعل لتعصب أعداء الاسلام ضده ولكنها قامت لرد المسلمين الى أصول دينهم وتعاليمه التى أخذ ضياؤها يخبو فترة بعد فترة .

الحلقة السابعة

* لماذا أطلق البناء اسم الإخوان المسلمين عللاى الجماعة ؟.

* نكر استخدام العنف ضد الحاكم حتى ولو كان ظالما .

* نحن ضد الدكتاتورية والاستبداد ومع الشورى .

فى هذه الحلقة من مذكراته ينكر الاستاذ عمر التلمسانى أن الاخوان فكروا فى استخدام العنف لتغيير نظام أو تبديل حاكم انطلاقا من كونهم جماعة سلفية كما ينفى أن تكون دعوة الاخوان المسلمين جاءت كرد فعل لاغتراب القيم فى المجتمع أو أنها جاءت كتنظيم وطنى يستهدف اقتلاع الظلم والاستعمار لكنها جاءت لترد الناس الى الينابيع الأولى للإيمان التى شردوا عنها فضلوا وضعفوا وصاروا مطمعا لكل ظالم أو طامع .. وهو يوضح أن اقتلاع الظلم والاحتلال يأتى حين يعود الناس الى طريقهم الصحيح للإيمان حيث القوة والثبات . وينفى المرشد العام للإخوان المسلمين عن جماعته أنها تحصر الاسلام فيها وتنكره على غيرها لكنها تقصره عليها طريقا ومنهجيا . بقول عمر التلمسانى :

لم تكن تصرفات الاخوان وتخطيطاتهم أبدا رد فعل ليقظتهم فالامام الشهيد منذ تفتح ذهنه على ما فى أمته وهو يفكر فى العلاج .. فهو يقود حركة أصيلة ووعيا نبت فى حقل ذهن خصب لينير كل مقومات الحياة .

ما كانت دعوة الاخوان أساسا لتحقيق استقلال أو تحرير من استعمار وما الى ذلك من المعانى السامية المطلوبة لكنها قامت لترد المسلمين الى المنبع العامر بالحياة الكريمة والحرية النبيلة والعقيدة السليمة فإذا ما صح هذا وثبتت دعائمه فى صميم مشاعر المسلم وعقله وتفكيره رأى أن الحرية والاستعمار ضدان لا يجتمعان فى إهاب واحد وأن الحرية والظلم يتناقضان وأن العقيدة الحققة والاستعمار الاقتصادى أو الفكرى مع عزة المسلم أمور لا يمكن أن يحيا معها الانسان حياة رغدة هادئة .

لقد قامت جماعة الإخوان المسلمين أساسا لتعود بالمسلمين الى التمسك بتعاليم دينهم الصحيحة فى كل كبيرة وصغيرة من شؤون هذه الحياة . فهى أصل وهى عقيدة وليست رد فعل لأى عامل من العوامل أو طارئ من الطوارئ . فهى إذا دعت إلى إصلاح فساد منتشر أو ضلال عم فما ذلك إلا لأن هذا من صميم تعاليم الاسلام السامية النبيلة .

ولما اكتمل عقد الرجال الستة السابق الإشارة إليهم ورأى الإمام أنهم أصبحوا يشكلون ما يشبه هيئة تأسيسية بدأ التفكير فى الاسم . فقال الإمام : ألسنا إخوانا؟؟ .. قالوا بلى . قال : ألسنا مسلمين؟؟ .. قالوا بلى قال : فنحن إذن (الإخوان المسلمين) . وأضيف الى هذا أن اسم الاخوان للمسلمين جاء من القرآن نفسه وليست بدعة مبتدعة فالله سبحانه وتعالى يقول : { إنما المؤمنون إخوة } ثم يقول { ملة أبىكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل } ونحن بفضل الله مسلمون فلا بدع أن تسمى هذه الجماعة " جماعة الإخوان المسلمين " ولم تدع يوما أنها " الجماعة المسلمة " لأنه تخصيص بغير مخصص ولكنها تعتبر نفسها " جماعة مسلمين أو جماعة من المسلمين " إننا لم نقصر الاسلام علينا ولم نحصره فى جماعتنا فما بال الناس قبلنا متقولين مبتدعين لشيء لم يدر شبحه فى خلدنا يوما من الايام . ألا فليتنق الله الملتمسون للبرءاء العيب وأنصحهم إبتغاء وجه الله مذكرا بحديث شريف : " من تتبع عورات الناس يوشك أن يتتبع الله عوراته حتى ليوشك أن يفضح فى عقر داره " وحسبنا الله ونعم الوكيل . إننا لا يعنينا أن يعلو هذا الاسم أو يدع صيته إنما يعنينا أن نعمل لله فى السر والعلن ويعنينا أن يطلع الله على دخال قلوبنا ثم يهدينا سوا السبيل .

لم يكن الاخوان المسلمون وحدهم أصحاب فكرة فرق الرحلات ففى كل المدارس الابتدائية والثانوية والكلية والنوادي حتى الماجنة منها كانت هناك فرق للرحلات . ولم يعتب أحد عليها فى ذلك . ولكن الإخوان المسلمين كانوا وحدهم محل اللوم والانتقاد بسبب هذه الفرق الطاهرة البرينة وقل بالمثل عن فرق الجواله أو الكشافة فى الاخوان المسلمين فهى فرق موجودة فى كل العالم ولكن " الكعكة فى يد اليتيم عجة ! " .. وسنرى فيما يلى أن الإخوان ما فكروا يوما فى القوة كسلاح لتغيير أو إنقلاب أو ثورة لأنهم سلفيون وسلفيون بحق وفهم والسلف رغم ما أثروا به الفكر من قمم وسعة واتساق ينكرون استعمال العنف ضد الحاكم حتى ولو كان فاسقا وظالما وسيأتى شرح ذلك عند الكلام عن وسائل الاخوان فى نشر دعوتهم استنباطا من رسائل الامام رضوان الله عليه .

ولو أن أحدا من غير الاخوان حضر مرة فى يوم معسكرا من هذه المعسكرات لرأى العجب العجيب فى دقة النظام وصرامة الاوامر والطاعة والالتزام . على المعسكرين أن يقوموا قبل الفجر ليسعدوا بفيوضات التهجد . ثم يؤذن لصلاة الفجر ليؤدوها جماعة ويلى ذلك التمرينات الرياضية التى تكون الجسم السليم ليحظى بالعقل السليم ثم العودة للإفطار وخطرات الصباح ويمضى اليوم بين إعداد الطعام

والرياضة والصلوات والدروس الى ما بعد صلاة العشاء حيث يأوى كل واحد الى فراشه . إن هذا اليوم فى حياة فرق الرحلات يعنى الترويح وإعداد الشباب إعدادا جسمانيا ومعنويا لكى يكون حاميا لبلده حارسا لوطنه متفهما لواجباته فى هذه الحياة نحو نفسه وأسرته ومجتمعه وأمتة بعد تفهمه لعبوديته الكاملة لرب السموات والأرض الذى بيده ملكوت كل شىء . إنه يوم التربية العملية وغرس المفاهيم الاسلامية وتنمية الروح الربانية وحماية العقيدة الاسلامية والشعور بالعزة الكاملة وكراهية الذلة أيا كان مصدرها { والله العزة ولرسوله وللمؤمنين } ففضية عزة المسلم أمر مقرر فى كتاب الله الكريم ومن وسائل تحقيق هذه العزة فرق الرحلات والجوالة .

الدعوة الى السلام

لقد بلغت التفاهة بخصوص الاسلام ودعائه أنهم يسفهون رأى الامام الشهيد فى ربط المصحف بالسيف رباطا رقيقا دقيقا مع إيمان الإخوان بأن الاسلام دين إقناع وحجة وبرهان إن هذا الظن أو هذا التسفيه لا يمكن أن يصدر من عقل به ذرة من سلامة التفكير . أنظر الى العالم كله فى جميع قاراته ألا ترى أن الدعوة الى السلام قائمة على قدم وساق بالمؤتمرات وأجهزة الاعلام وكتب الداعين الى السلام . ألا ترى أن إسرائيل نفسها تتباكى طالبة العيش فى سلام داخل حدود آمنة ؟ هل مر بنا يوم لم نقرأ فيه شيئا عن السلام العالمى والرغبة الملحة فى أن يسود الدنيا السلام حتى كدنا نمل من كلمة السلام العالمى التى يستعملها المرشحون لرئاسة دولهم ؟ ثم ماذا نرى بعد هذا ؟ نرى العالم كله يتبارى فى اختراع الأسلحة المهلكة المبيدة للبشرية وتتفق فى سبيل اختراع وسائل الدمار ألوف الألوف من الملايين ثم تدعى كل أمة بعد ذلك أنها أمة السلام والأمان والهدوء والاطمئنان . لماذا كل هذا ؟

أليس للدفاع عن الحرية المزعومة والسلام المنشود إن الورد يحتاج الى شوك يحميه والاسلام دين السلام والدعوة اليه لا تكون إلا بالإقناع والدليل { أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن } . ولم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هذا فى بدء الرسالة رغم ما أنزله المشركون بالمسلمين من تشريد وتعذيب وقتل . وكان الرسول يمر على المعذبين فيقول " صبرا آل ياسر إني لا أملك لكم من الأمر شيئا إن موعدكم الجنة " ..ولما أدته ثقيف لم يهمله من أمر كل هذا الايذاء إلا رغبته فى ألا يكون بربه غضب عليه وصبر على الايذاء حتى اضطر الى هجرة أول أرض مس ترابها جسده الشريف . وباليتهم لما هاجر تركوه ولكنهم أمعنوا فى تهديده ومحاوله القضاء على دعوته ومهاجمته فى عقر مهجره فاضطر ولا مناص الوا لدفاع عن عقيدته ومن آمن بها وهكذا كان الامام الشهيد أسوة حسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم . إذ رأى محقا أن الحق لا بد أن تكون له قوة تدافع عنه وتحميه تنفيذا لقوله تبارك وتعالى { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم } ولعله لم يفتك فى مقام الاعداد أنه كان للإرهاب لا للقتال ولا للاعتداء ولا للاستعمار والاستعباد .

وهذه معاهدة السلام التى عقدت مع إسرائيل .. ما بال حكومتنا تقوى جيشها وتدعمه وهى داخلية فى معاهدة سلام ! هل يعد هذا الجيش لمحاربة المسلمين ؟ أبدا ولا يمكن ! هل تنفق الأموال الطائلة فى تسليح جيشنا سفها وتبذيرا ؟ لا وألف مرة ولكن حق كل أمة فى الحياة يحتم عليها أن تكون قوية مرهوبة الجانب لا يعتدى عليها أحد أو يسلب حريتها .. هكذا فعل الامام الشهيد إذ كانت مصر محتلة واليهود يطأون أرض فلسطين فأراد أن يلفت نظر المسلمين الى أن الاسلام الضعيف الواهى المتخاذل يكون نهية لكل ناهب ومطمعا حتى لشذاذ الآفاق ومن لا يستطيع الدفاع حتى عن نفسه . حقيقة أراد الامام الشهيد أن يقيمه أمام أنظار المسلمين يوم أن وضع المصحف بين سيفين إن هذا الشعار الذى لا يرضى أعداء الاسلام لا يزال ألزم لنا من أى وقت مضى ..

اليهود احتلوا الجولان وغزوا لبنان ويهودون الضفة الغربية وغزة ويعتدون على المساجد ليحولوها الى معابد يهودية وسيناء لا تزال مجردة من السلاح رغم كل ما يقال عن عودتها إلينا . لهذا وضع الامام الشهيد العقيدة بين شفرتى السيفين حتى يظل المسلمون ذاكرين لكل بلادهم السليبية المنهوبة وسيظل هذا الشعار الاخوان المسلمين الى أن تحرر كل أرض إسلامية من احتلال عسكرى أو سياسى أو إقتصادي أو فكرى وسيظلون يعدون أنفسهم لتحقيق قوله تبارك وتعالى : { وجاهدوا فى الله حق جهاده }

تطبيق شرع الله

فلتدبر لنا المؤامرات ولتبدل الجهود فى محاولة الصد عن سبيل الله ولتفعل بنا القوى الظاهرة والمحركة لها ما تشاء فليست هزيمة الداعية فى مطاردته واستغلال ضعفه ولكن هزيمته يوم أن يشك فى صدق وعود الله أو لتفكير فى ترك ما عاهدوا الله عليه يوم أن يبيع على الوفاء لدعوة الله . ستظل هذه البيعة قائمة ومتجددة لا تحديا لأحد ولا تدليلا على وجود تنظيم كما يزعمون .. إن كل أخ يبايع أخاه على لمضى فى سبيل الله لا ترهبه قوة ولا يقعه سلطان لأن الله هو الذى يابغاه فإن استطاعت القوة أن توقفنا عند حد معين فإنها أعجز وأعجز من أن تحول بين القوى القادر وإنفاذ مشيئته { وما تشاءون إلا أن يشاء الله } . وكل شىء عنده بمقدار . ولهذا وضع الامام الشهيد المصحف بين سيفين وسيبقى هذا الشعار ما بقى على الارض أخ من الاخوان المسلمين لأنهم يؤمنون بضرورة حماية العقيدة من الذين يحاولون النيل منها والاعتداء عليها .. أنها حمايه بالقوة للدفاع فقط لا للاعتداء فمن العجب حقا أن ينكر الناس حق المسلم فى حماية نفسه ووطنه وعقيدته أم أن القوة حلال لكل إنس وجن وحرام على الاخوان دون غيرهم إن قيادة الاخوان لم تأمر طلبة الجامعة يوما بضرب مخالفيهم فى الرأى أما السادات ومن قبله - رحمنى ورحمهم الله - فقد طلبوا من أتباعهم فى الجامعة أن يضربوا إخوانهم الجامعيين ورغم ذلك فلم يجرؤ طالب منتم الى أى حزب أن يمس واحد من الطلبة الداعين لدينهم لأنه يعرف حجمه وحجمهم والنتيجة التى تترتب على ذلك !

وإذا عرضنا لقول الامام الشهيد (نحن حرب على كل زعيم أو رئيس أو هيئة لا تستجيب لدعوتنا وسنعلنها خصومة لا سلم فيها ولا هودة حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق) فإننا نرى خصوم الدعوة سلخوا هذالعبارة سلخا من بين خطب الامام وأحاديثه ورسائله كمن يقول { ولا تقربوا الصلاة } ثم صدق الله العظيم .

إننا نعلم أن القرآن يكمل بعضه بعضا ولا يناقض بعضه بعضا فمن أراد أن يستخرج حكما إما أن يستند الى آية واحدة دون غيرها فى الباب الذى يطرقه فهو أضر على الدين من جهلة القرآن والحديث ، إن دعوة الاخوان قامت تنادى بكتاب الله وسنة رسوله بأسلوب الدعوة الهيئته والكلمة اللينة والحجة المبينة فليس من المعقول أن يناقض المتمسك بهذه التعاليم نفسه داعيا الى العنف والارهاب إنما هى الأساليب اللغوية من كناية واستعارة ومجاز وتشبيه .. وكل ما جاء فى علوم البلاغة فنحن حرب على من يخالف الكتاب والسنة حرب بأقلامنا وألسنتنا وجهودنا وهى حرب فعلا وقد تكون أفتك من الرصاصة والقنبلة . ثم ليس لدينا مدافع وطائرات حتى نقاوم الشرطة والأمن المركزى والجيش وحتى لو كان هذا فى أيدينا فلن يوجه الى صدور المسلمين ولكن الى قلوب أعداء المسلمين . المعتدين منهم والباغين .

ولو أنك استمعت الى صعيدى مثلا يحقق معه فى قضية ضرب عادية لسمعته يقول : “ جتلى جتلتة “ أى ضربنى ضربته ولكن ما حيلتنا فى من يقول عن شراب اللوز أنه “ منقوع الطرايبش “ وهل من يقول “ سأخرص خصمى “ يريد بذلك أن يقطع لسانه ليكون أبكم ؟ فهم غريب إنها ا لحماية الطاهرة والرغبة الملحة فى نشر الدعوة الاسلامية تحمل على لحماسة فى التعبيرات .. ألسنت معى فى أن كلمة “طيب “ تخرج من فم المتحدث ولها معان متباينة كل التباين ويعطيها المعنى المقصود النبره التى تخرج بها هذه الكلمة ا لرقيقة قد تكون كلمة “ طيب “ موافقة وقد تكون استخفافا وقد تكون تهديدا .

إن الامام الشهيد قام يدعو الى تطبيق شرع الله فى كل ناحية من نواحي الحياة وألا يخرج أى تصرف عن هذه التعاليم وشرع الله ينكر الدكتاتورية من أساسها . بل ويحاربها هل بعد قول الله { من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر } من قول ؟ وإذا كان الله جل علاه ينهى النبى صلى الله عليه وسلم عن إكراه الناس على الدخول فى الاسلام { أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين } هل بعد هذا الوضوح عند داعية يدعو الله بهذه المثل يمكن القول أن حسن البنا يريد أن يفرض دكتاتورية إسلامية ؟ وهل يقبل عقل مسلم أن يجمع بين الايمان بالدكتاتورية درع الظالمين الأشرار بالشورى التى يدعو الاسلام عليها دعامة الأطهار الأبرار ؟.

“ وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار الى دليل “ سيظل خصوم الاسلام على هذه الشائعات والأباطيل تشويها لحركة الاخوان المسلمين التي تفرعهم وتقض مضاجعهم وتسبب لهم “ ارتباكاً “ في أذهانهم أما نحن الاخوان المسلمين فلا ندعى أننا وحدنا أصحاب الاسلام ولكننا من بين دعائه والذي يطيب نفوسنا بأننا على الحق نقمة الصليبية والصهيونية والشيوعية علينا وحدنا دون غيرنا من الجماعات الاسلامية في كل أرجاء العالم .

أننا نقول بأعلى صوتنا وأوضح عباراتنا إننا دعاة للعودة الى تعاليم الاسلام الصحيحة فنحن أجناد لكل من يدعو الى ذلك نتبعه ونؤيده ولا نريد أن نكون رؤساء له أو زعماء . وكم فرحنا لما لجأت الأحزاب كلها عند الدعاية الانتخابية أن تجعل على رأس برامجها تطبيق الشريعة الاسلامية . وسيرينا القريب العاجل هل كان هذا دعاية انتخابية أو قناعة حقيقية وسيكشف هذا للرأي العام فتعرف الأمة كلها من الصادق الذي تحمل كل المتاعب في سبيل هذا الهدف ومن غيره الذي لا يذكر الاسلام إلا عند حاجته الى تأييد شعبي . وإذا كان هذا هو مذهب الأحزاب حقيقة فما بال بعض صحفها لا تدع يوماً يمر دون أن تلحق بالاخوان ما يسوء ولايسر . إن مجال القول في هؤلاء الناس طويل وفسيح ولكن الاخوان لا يضيعون أوقاتهم في الرد على مثل هذه الترهات ولا يحبون أن يخرج من بين شفاههم أو أقلامهم لفظ نابي أو جارح حتى ولو كان ذلك حصناً لهم أو دفاعاً عن نفس ، إننا حريصون على أن نكون خير ابني آدم { لنن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك } ..

هذا موقفنا مع الناس جميعاً لا نبداً احداً بشر ولكن إذا هوجمنا واعتدى علينا بلا مبرر فقوانين السماء والأرض تبرر لنا الدفاع الشرعي عن أنفسنا لا عن طريق فتنة تأتي على الأخضر واليابس ثم تقضى على الجميع ولكن كما قال الامام الشهيد (نستعين عليهم بسهام القدر ودعاء السحر) ويالها من أسلحة فتاة ثبت فعلها ولكن أكثر الناس لا يفهمون إنما يؤمن بآيات الله الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً خشعاً وسبحوا بعظمة ربهم وقدرته ثم لا يتعالون عليها ولا يستكبرون .

والدليل على ذلك أنه لما صدرت مجلة النذير في مايو 1938 معلنة بدء الكفاح السياسي للإخوان المسلمين في الداخل والخارج علم الناس جميعاً أننا نكافح ونناضل كفاحاً ونضالاً سياسياً لا إجرامياً ولا إرهابياً ويوضح هذا أن كفاحنا لا يقتصر على وطننا ولكن في داخل البلاد وخارجها وما اظن أبلة يمكن أن يتصور أننا سنحارب بالمدفع والطائرة أمم العالم أجمع ولكنها الدعاية والاعلام بكل وسائله . هل يمكن لعاقل أن يتصور الاخوان المسلمين يحاربون أمريكا وروسيا أعداء الاسلام وأقوى دول العالم كاديا على الارض . ما بال الناس !! كيف يقدررون وكيف يحكمون إنها لا تضل العقول ولكن التعصب الأعمى وغيبة العقل المخلص تدفع بأصحابها الى هاوية ما لها من قرار إن كل ما نطلبه من خصومنا هو الانصاف إن كان له اليوم من وجود .

القانون حكم بيننا وبين الناس فإذا أجرى تحقيق عادل غير موجه ولا مؤثر عليه وتثبت أدلة وأدلى باعترافات خالية من الاكراه والتعذيب فهنا يمكن لكل قائل أن يقول ما يشتهي من القول والدليل الى جانبه . فليدع المتجنون هذه الافتراضات وهذه المقولات و الشائعات فإن الله لا يصلح قول المفسدين ولا أعمالهم " والله من ورائهم محيط " وكفى بالله ولياً " " وكفى بالله نصيراً " .

وسيرى القارئ فيما يلي إن شاء الله إن كان الامام الشهيد يؤمن بالديمقراطية أم لا وسيرى كذلك منهج الامام الشهيد للوصول الى الحكم لا لذات الحكم ولكن لصلاحه .

وأبادر فأقول إننا جند وأعوان لكل من يبدأ في تطبيق شرع الله بدءاً متتدا عاقلاً ورزينا يقدر لقدمه قبل الخطو موضعها حتى لا يكون التسرع والحماس سبباً في تشويه تطبيق التعاليم الاسلامية كما أرادها الله ورسوله .

الحلقة الثامنة

* الوطنية كما نفهمها هي وطنية سيادة الاسلام .

* عندما طلب البنا حضوري لاجتماع بطربوش مزيت .

* غضبت عندما انسحب حسن البنا من الانتخابات النيابية .

أكد الاستاذ عمر التلمساني أن الاسلام دين إقناع وعقل قبل أن يكون دين امتشاق لسيف فالرسول صلى الله عليه وسلم كن يدعو لدينه بالحكمة والموعظة الحسنة وهو لم يلجأ الى اعداد قوة المسلمين إلا لإرهاب ا لمشركين حتى يفكر الطامع الباغى مرات ومرات قبل أن تزين له نفسه العدوان على الذين آمنوا .. وهو لم يقاتل إلا دفاعا عن النفس حين حاولت قوى الشرك أن تلاحقه فى مهجرة بغيا وعدوانا .

لهذا ينكر المرشد العام للإخوان المسلمين منهج اللجوء الى العنف فى مواجهه الحاكم حتى ولو كان فاسقا وظالما لأن الاخوان دعاة وليسوا ثوارا أو متمردين .

وفى هذه الحلقة يسلط الضوء على منهج الإخوان فى نشر الدعوة والطريق التى يرونها للخروج بالمسلمين مما هم فيه من ضعف ووهن وتخلف :

يقول عمر التلمساني :

لقد تعلمنا على يد إمامنا الشهيد أن وسائل اليوم فى نشر الدعوة وغيرها بالامس فمن واجب الدعاة أن يتقنوا استعمال كل أجهزة الاعلام ووسائله بما فيها لمسرح والسينما والتلفزيون حتى يستطيعوا أن يحققوا أهدافهم عن طريق الوسائل المستعملة فى عصرنا الحديث ذلك لأن العالم فى أيامنا هذه يعيش دوامه من الآراء والنظريات مستخدما فيها كل وسائل الاعلام الحديثة وهذا ما يجب على الدعاة الاسلاميين أن يستعملوه ويتقنوه لأن دعوتهم دعوة اسلامية تشمل كل ضروب الحياة ولها ولها فيها أحكام مقررة وليس بيننا وبين الناس إلا أن يطلعوا اطلاع الباحث المدقق فى كتاب الله كى يستطيعوا أن يفهموا كلمة " إسلامية " بمعناها الواسع الفسيح .. لأن كتاب الله كما يقول الامام الشهيد والدعاة من قبله هو أساس الاسلامودعامته . أما سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهى شارحة للكتاب ومبينة

وأما سيرة السلف الصالح رضوان الله عليهم فهم منفذوه بطاعة أوامره والانتهاه عن نواهيه وهم المثل العملية والصورة الماثلة لهذه الأوامر والتعاليم بذلك نستطيع أن نقف من الدعوات العالمية موقف المنصف ما وافق إسلامنا فمرحبا وما خالفه فمفروض تماما . نحن فى الشرق وتحت النير الغربى المستعمر نفهم الوطنية فهما خاطنا حيث نادى بها الزعماء والخطباء بفهم بعيد عن الاسلام . وللإمام الشهيد فى هذا مقالة :

إذا كان المقصود بالوطنية حب البلد التى ولد الانسان على أرضها وطعم وشرب من خيرها فذلك أمر نظرى فى نفس كل أبى شريف " وعلى العين والرأس " . وإن كانت الوطنية والقومية وجوب التضحية بكل شىء فى سبيل تحرير الوطن الاسلامى من غاصبيه وغرس مبادئ الحرية والعزة فى نفوس أبنائه فالاسلام يدعو الى ذلك ويحض عليه ومرحبا به وإن كانوا يريدون بها توحيد صفوف الشعب وتقوية الروابط بين أفرادهم حتى يتمكن من حماية وطنه فما أجمل هذا . أما وطنية سيادة الاسلام فذلك مطلب عال جليل .

شعارات طنانة

أما إذا كان المراد بالوطنية هذه الشعارات الطنانة التى تعج بها بعض الصحف والمجلات وأجهزة الاذاعة التى تضع فى أذهان الشباب شعارات الأحزاب التى ليس من ورائها إلا الاتهامات ونمزيق وحدة الامة الى فرق تتناحر وتتشتاتم ويتهم البعض بها البعض الآخر والتى تصرف الشعب عن أخطر قضاياها المصيرية وتغرس العداوة والشقاق بين أبناء الوطن الواحد وأعداؤنا من كل شكل ولون يستغلون ويستفيدون فهذه وطنية لا يعرفها الاخوان وإن سمعوا بها وعانوا من شرورها فإنهم لا يقرونها فى أى حال من الاحوال وأمامنا الأحزاب

فى اللىلا القوية المتقدمة أبعد ما تكون عن إصاى العمالة والخيانة ببعضا البعض . إنهم يختلفون على الجزئيات والفرعيات أما إزاء قضائاهم العامة فهى صنف واحد إذا اقتضى موقف أو حزبهم أمر .

ألم تر أن تشرشل الذى كسب لبريطانيا أخطر الحروب وعرفوا له فضله فأحلوه المكانة التى تليق به واشترك فى هذا التكريم المحافظون والأحرار والعمال هذا لعلاق أسقطوه فى أول إنتخابات جاءت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية معرفة بأنه أدى دوره الذى قام به غير أن الأمة فى حاجة الى أسلوب آخر فى الحكم غير أسلوب تشرشل وتلك روعة وعى شعبى لها قدرها وياليتنا نتقنها ونعمل بها حدود الوطنية عند الاخوان مقيدة بالعقيدة لا بالحدود الجغرافية حيث نؤمن بأن كل بلد مسلم هو وطننا الذى نجاهد من أجله ونعمل لحمايته لأن كتاب الله وهو منهاجنا يقرر { وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون } إننا لا نرضى أن يستغل سعب مسلم شعبا آخر أو يحتل بلاده أو يفرض عليه إرادته فأهل مكة أعرف بشعابها ولكننا نريد الخلافة التى تلم شعث مئات الملايين من المسلمين فى كل بقاع الأرض .

نحن أشد الناس تفانيا فى وطنيتنا وحب الخير لبلادنا حتى ولو لم يفهمنا الناس حتى ولو أساؤا الظن بنا لأننا لا نجرى إلا وراء اكتساب رضا الله فإذا لم يكن به غضب علينا فلا نبالى . رأيت لو أن المسلمين كانوا أمة واحدة ذات قيادة موحدة أكانت إسرائيل ومن وراءها يستطيعون أن يفعلوا بفلسطين وسورية ولبنان ما يفعلون والبقية تأتى إذا ظل المسلمون على ما هم عليه من قطيعة وشقاق إن الولايات المتحدة فى أمريكا الشمالية استطاعت أن تتوحد تحت حكم رئيس جمهورية واحدة يرأسها جميعا على اختلاف نظمها وقوانينها فكيف يعاب على المسلمين ما يعتبر حكمه وفخارا عند غير المسلمين ألا إنها لا تضل العقول ولكن تضل الاهواء والأغراض.

كيف نفهم القومية ؟

ويرى الاخوان فهما من تعاليم إمامهم الشهيد المقتبسة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين من بعده رضوان الله عليهم ومن إجماع السلف الصالح أن القومية هى الاجماع على خير الوطن الإسلامى كله دفاعا وجهادا وبذلا وتضحية من أجل المجموع كله . إما قومية الجنس الآرى أو اللاتينى أو غيرها التى يراد بها تمييز جنس على جنس والتى تبنتها إسرائيل بمقولتها إنها شعب الله المختار فهى ممقوته من الاخوان المسلمين لأن الناس جميعا لآدم وآدم من تراب وأكرمهم عند الله أتقاهم .. إلا ما أبعد البون الشاسع بين فهم وفهم فى معانى الوطنية والقومية أما الخلافات المذهبية بين المسلمين فهذا أمر كامن فى العقول البشرية فقد اختلف أحمد ومالك والشافعى وأبو حنيفة على الفرعيات دون المساس بالقواعد العامة والأصول الأساسية ولا اعتراض لنا على ذلك بالمرّة ما دام الامر لا ينتهى الى التمزيق . إن كل المذاهب عندنا “ على العين والرأس “ وكل الجماعات الإسلامية محل الاحترام والتقدير لا يذهب خلافنا معها فى رأى الى حد الاتهام أو التشويه أو الاساءة فكل يعمل فى محيطه وكل على خير حتى الأحزاب الحالية إننا لا ننكر عليها إلا أساليبها ووسائلها فى تزيين مبادئها والنيل من غيرها ويوم أن ترجع كل الأحزاب الى كتاب الله فى الأصول والقواعد وتهجر هذه الأساليب فإننا لا ننكر عليها شيئا بالمره ولا نعتبر أنفسنا بهذا الفهم ونحن مسلمون أننا تجنينا على أحد فهمنا الأول والأخير ارتباط الجميع بشرع الله عند المسلمين أما غير المسلمين فقد أمرنا أن نتركهم وما يدينون وقد اعتبر الله أن ما هم عليه دين حيث يقول فى سورة الكافرون { لكم دينكم ولى دين } وإن كان الله بجلاله قرر “ إن الدين عند الله الاسلام “ ولا تناقض فذلك يعاقب الله عليه وهذا دين يثيب الله عليه وينظر الامام والاخوان من حوله الى الفتن التى تحيط بالاسلام والمسلمين كقطع الليل الحالك البهيم ويبحث عن ثغرة يمكن من خلالها أن نتلافى هذا الشر الذى يزحف على الاسلام والمسلمين الحكام منهم والمحكومين فتضطرب منه الأبصار ونسأل إمامنا : ما المخرج ؟ ما العلاج ؟ فيبتسم إبتسامة مشرقة هادئة مطمئنة فاسمعوا وعوا وقرأوا وتبينوا وتظلعنا إحدى رسائله بأسلوبه السهل الممتنع فى يقين المقنع المقتنع لقد سبقتنا أمم بمثل ما نحن عليه ففكرت ودبرت وعملت ونجحت ويرى فضيلته

أن علاج الوهن الذى حل بنا وأصابنا وجعلنا فى حيرة يتلخص فى ثلاثة من الأدوية المجربة الناجعة أولها معرفة موطن الداء لأن تشخيص الداء والوصول الى حقيقة أمره هو أساس الأول فى الوصول الى شفاء المريض إذا اراد الله وثانيها الصبر على مرارة العلاج وآلامه ومضاضته وثالثها : النطاس البارع الذى فحص فشخص وياشر العلاج وتولاه حتى يتحقق الشفاء وينجو الجسد المضنى من كل داء.

عناصر التخلف

قلنا : هلا بينت لنا موضع الداء ؟

قال : داؤنا متعدد الجنبات :

1- الاستعمار سياسيا

2- الحزبية المتناحرة التى أدت الى تفريق الأمة

3- الربا المنتشر فى كل مكان . 4- الشركات الأجنبية التى تمتص خيراتنا ومواردنا .

5- الفوضى الفكرية والمروق العقيدى وتحطيم المثل العليا .

6- التقليد الغربى الأعمى الذى يسرى فى النفوس سريان سم الأفعى القاتلة .

7- القوانين الوضعية التى لم تمنع الجريمة أو تقطع دابر المجرمين .

8- التخطيط الكامل فى برامج التعليم .

9- مظاهر اليأس التى تستهدف العزائم والهمم .

وبذلك نراه قد عدد لنا " الخرايج " المليئة بالصيد المؤدى الى تلف الجسم كله ..

سياسيا واقتصاديا وفكريا واجتماعيا وقانونيا وتعليميا وتربويا . وما أدق هذا من تشخيص جمع فأوعى ولولا ضيق المجال لفصلت كل واحدة من هذه تفصيلا .

تحبب الى تلامذته فأحبهه وكان يرسل الشباب منا فى سن الخامسة والعشرين أو أكثر أو أقل ليقابل الوزراء فى البرلمان لا فى مكاتب الوزراء فكان الواحد منا يذهب الى مهمته وكله ثقة بنفسه وحرص بالغ فى تأدية رساله والرجوع بنتيجة طيبة .

لقد ملأ بالأمل نفوسنا وبالعهزة مشاعرنا وبالكرامة أحاسيسنا يقول إن كل ما حولنا يبشر بالأمل فى نصر مؤزر فقد أحيا الله موات الهمم وأصبح الشرق يغلى غليانا لا بد أن ينتج بخارا يحرك الات الصلب والحديد ولو أنه عاش الى اليوم لرأى من الشباب المسلم ما يبعث فى نفسه الطمأنينة على هذه الدعوة الطاهرة النظيفة ولعله يأتى فيما أكتب بقية الأمور التى أدت الى نجاح هذه الدعوة التى حركت القلوب الواهنة التى لا تكاد يسمع نبضها أو يحس الى قلوب تدق دق المطرقة على السندان يسمع صوتها ويحس بها وتغيط قوما لا يريدون بالاسلام والمسلمين خيرا إن كلمة الاسلام الى تردد فى كتاباتى تأتى تجاوزا لأن الاسلام لم يهن ولن يزول وسيبقى ما بقيت الأرض والسموات لأن أقدر القادرين قد تعهد ببقائه { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } هذا أمر لا يخامرنا فيه ريب فكلامى كله متعلق بالمسلمين الذين يعزون إذا تمسكوا بشرع الله والذين تستباح حرمااتهم وكراماتهم كلما ابتعدوا عن تعاليم الاسلام مظهرها ومخبرها وأسأل الله من كل قلبى ألا تصل الى :

" لقد أسمعت إذ ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى "

ويتساءل الناس الى أى شىء يدعوهم هذا الداعية المجيد ؟ يقول لهم ا لناس صور متخالفة . منهم من يحب الأكل والمتعة ومنهم من يحب الزينة والعرض الزائل ومنهم محبو الفتن والمفاسد ومنهم ومنهم .. ومن المناسبات الطريفة أن أعضاء مكتب الارشاد وكنت واحدا منهم قالوا للإمام الشهيد إن عمر حريص على انسجام مظهره (وعوجه الطربوش على الحاجب الأيمن) ولا يحرم نفسه من متع

الحياة فإذا به يوما فى اجتماع من الاجتماعات للمكتب يبادرنى قائلا : تعال الى الاجتماع بحذاء قديم وطربوش مزيت وانعدام هندام فذهلت وقلت : وهل هذا من بين أوامر الدعوة ؟ فقال هكذا يريد إخوانك وكأن الله حرم زينته والطيبات من الرزق على المسلمين وكأن الله لا يريد أثر نعمته على عبده وكأن الله لم يجعل للمسلمين نصيبا من هذه الدنيا وكأن المسلم يجب أن يبدو زرى الهيئة مشوش الهندام منفر المنظر هل نسينا { قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة }

وكان درسا واعيناه جميعا وكنت من المدخنين وشكا إخوان المكتب من هذا .. فقلت للإمام الشهيد : إما أن تأمرنى فأقلع وإما أن تسكت فأستمر .

فقال : لا أمرك ولا أنهاك . إن فضيلته كان ينهى عن تناول المكيفات حتى ا لشاى والقهوة ولكن لعله لمس فى طبعى عنادا فلم يرد أن يحرجنى أو يضعنى فى ركن فأنفقت أليست هذه تربية ؟ فأنا اليوم لا يرانى الناس من المدخنين إذا كان راضيا قال : يا عمر وإذا كان هناك ما يغضبه منى قال : يا ستاذ عمر أو يا عمر بك فأعرف ذلك منه فأسأله " ليه " .. ما ذا حدث؟ ولكن من الناس من يحسن الصلة بالله وبالناس وبنفسه ولقد كان إمامنا الشهيد من هذا الصنف الذى وهبه الله القدرة على أخذ نفسه بالأشد الأحوط كما منحه خلقا يحبب فيه كل من يعاشره بمثل ما أشرنا إليه سابقا وفوق هذا كله فما أجمل صلته بربه فهو يراقبه فى الصغيرة والكبيرة فيعينه على ألا يهن أمام الصعاب أو يقترب الياس من تحقيق آماله كل شىء عنده هين ويبسره الله بالاعتماد عليه ومن الناس من جعل حياته كلها وقفا على دعوته هى أولا .. وكل شىء فى المحل الثانى .

إن مهمة المسلم أستاذيته للعالم لا أستاذية تعال وتسלט ولكن أستاذية تربية وتوجيه وتعليم .؟ والمسلم الذى يجهل هذه الاستاذية المضحية الباذلة لا يعرف قيمة الرسالة التى يحملها والتى أمر بالدعوة إليها . قيل للإمام الشهيد " متى تنام " ؟ قال : وهل تركت لنا أعباء الدعوة والرسالة وقتنا ننام فيه . أليست الواجبات أكثر من الأوقات ؟ وصدقتى إذا قلت إنه كان يكفيه من النوم أربع أو خمس ساعات على الأكثر يوميا وحقيقة الأمر عنده أن الغاية هى الأصل وما الأعمال إلا فروع لها فمهمة المسلم عنده سيادة الدنيا وإرشاد الانسانية بأجمعها الى نظم الاسلام الصالحة وتعاليمه التى لا سعادة للبشرية بغيرها .

الانجليز يهددون النحاس

ولئن تساءل الناس وهم دائما يتساءلون : من أين ينفق هؤلاء الفقراء ؟ ز فيرد عليهم الامام الشهيد إن الدعوة الدينية عمادها الايمان قبل الأموال فإذا وجد المؤمن الصحيح الايمان توفرت كل وسائل النجاح . كنا نستأجر الشقق لتكون مركزا عاما للدعوة فإذا بالقروش التى يدفعها كل أخ من دخله الضئيل تعين على شراء قصرين فى الحلمية الجديدة وقصر فى شارع محمد على وشركات وشركات لو عوضوا عنها بعد أن صادرتها الحكومات الظالمة لبلغت العشرات من الملايين . الرجال هم الذين ياتون بالمال وليس المال هو الذى يأتى بالرجال .

إنالاخوان المسلمين آمنوا بدعوتهم فهم ينفقون من مالهم وغيرهم دخل هنا أو هناك ليغنم أو يستفيد وشتان ما بين الموقفين ولهذا نجحت دعوة الاخوان وانتشرت فى كل أرجاء الأرض رغم ما حل بها من ضربات قاصمات لو أصابت غيرهم لأصبحوا أثرا بعد عين لكن من يكن الله طلبته فإنه بالغ غايته .

وظن المتحاملون أن مطالبة الاخوان بإصلاح قواعد الحكم ونظمه سياسة ! وياه من ظن .

إن كانت الدعوة الى جعل شرع الله سياسة فنحن نعتبرها سياستنا وإن كان من يدعوكم الى التمسك بكتاب الله سياسة فنحن أساتذته فىالسياسة وإن أصررتم على انها سياسة فلكم ما تقولون ولنا ما نعمل وكل ميسر لما خلق له . لقد رشح إمامنا نفسه للإنتخابات مرتين فثارت ثائرة المحتلين وطلبوا من النحاس باشا رحمه الله أن يتنازل الأستاذ عن ترشيح نفسه فى الاسماعيلية فطلبه لمقابلته فى " مينا

هاوس " ودار بينهما نقاش طويل فلما رأى النحاس باشا إصرار الإمام الشهيد على المضي في المعركة الانتخابية .. كشف له النحاس باشا عن التهديد البريطاني وأن الوطن معرض لأخطار جسيمة وهنا رضى الامام بالتنازل عن الترشيح درءا للأخطار التي يتعرض لها الوطن بسبب الاستمرار في المعركة الانتخابية وقد غضب الإخوان من هذا التنازل وكنت من بين الغاضبين فانقطعت عن التردد على المركز العام فلما أفتقدني فضيلته سألت عن السبب فقيل له إنني غاضب لانسحاب فضيلته من المعركة . فأرسل الى خطابا يستدعيني لمقابلته فرددت عليه بخطاب فحواه عدم الجدوى من مقابلته لأنني لا أسمح لنفسى بمناقشة قرار أتخذه . فأرسل الى المرحومين الأستاذ عبد الحكيم عابدين والحاج عبده قاسم فحملاني من شبين القناطر حيث لقينته وأقنعني حقا فاقترعت يقينا وعدت سيرتي الأولى في التردد على المركز العام وفي الترشيح الثاني بذلت سلطات الاحتلال كل جهودها حتى أسقطته عند فرز الأصوات بسبب التزوير والارهاب الذي لم يحل بين الناخبين وبين تأييدهم لفضيلته لولا التزوير في نتيجة الانتخاب وهكذا شأن الإخوان مع مرشدهم يناقشون ويتبينون حتى إذا ما اقتنعوا أو صمم المرشد على رأيه نزلوا جميعا عند قراره إيمانا منهم بأنه الخير الذي شرح الله صدره ويكون النزول عند قراره تسليما قلبيا بما ارتآه .

لا تنس أيها القارئ أن ما أقوله مستمد من رسائل الامام فهما أو نقلا . إن الله جل شأنه هو الذي يختار لهذه الدعوة الطاهرة البرينة فلما كان الامر أمر تربية وتوجيه وربط المسلم بربه برباط العقيدة الذي لا يتزلزل ولا ينقسم لما كان الأمر أمر تأليف رجال يحملون الدعوة لا أمر كتب تحملها أرفف المكتبات لما كان الأمر أمر إيقاظ قلوب وتنبيه عقول وإيجاد الطائفة التي لا تزال قائمة على الحق لما كان الأمر أمر تجميع وتكوين وتوحيد مفاهيم أمة مسلمة لما كان الأمر أمر عودة المسلمين الى الايمان بأنه لا عزة لهم ولا كرامة إلا بإحياء فريضة الجهاد من جديد لما كان الأمر كذلك اختار الله لهذه الدعوة إمامها الشهيد حسن البنا ولما كان الشأن شأن صبر وصمود وجلد لما كان الشأن شأن مواجهة الظلم والباطل في رجولة وصبر واحتمال .. لما كان الشأن شأن إخراج تعاليم هذه الدعوة الى حيز التطبيق العملي والتنفيذ الفعلي لما كان الشأن شأن مواجهة الداعية للحاكم الظالم في رجولة إسلامية كاملة لما كان الشأن حفظ هذه الدعوة تحت قيادة مجاهدة مرضية راضية اختار الله لهذه الدعوة مرشدها الامام " حسن الهضيبي " عليه رضوان الله .

الرجال معادن

وهنا أقول إنمصر كلها لم يكن فيها إلا رجلان تبينا حقيقة جمال عبد الناصر وما هو مكتوب على جبهته .. هذان الرجلان هما المرحوم فضيلة الاستاذ حسن الهضيبي المرشد الثاني للإخوان المسلمين والثاني السيد فؤاد سراج الدين رئيس حزب الوفد . ولما كنا في السجن الحربى عام 1954 وكانوا يوقفوننا صفوفنا لنردد مع أم كلثوم أغنية " يا جمال يا مثال الوطنية " ويوقفون الشهيد عبد القادر عودة موقف المايسترو من الفرقة الموسيقية جاء أحد ضباط السجن الى فضيلة المرشد الهضيبي وطلب منه أن يقف " زنهرا وأن يضرب الأرض بقدمه بشدة . قال له الأستاذ الهضيبي رضوان الله عليه : لا تخف سأضرب الأرض بقدمي لا لتخرج بطيخا ولكن لتخرج بترولاً . وهكذا لم تفته الكلمة الساخرة بالظالمين وهم في ذروة قوتهم . إنه لم يستجد ولم يسترحم ولم يقل للظالم ما شاء الله وشئت ! والرجال معادن . لقد كان فيض الايمان ونبع الثقة بالله فياضا في قلوبهم فثبتهم الله وحفظ دعوته على أيديهم .

لا بد وأنا أكتب هذه المذكرات أن أعرض للدعوة - دعوة الله - التي أوجدتني من عدم وجعلتني أفهم طعم الحياة كيف لا وقد أوضحت لي الدعوة أن مهمة المسلم ليست مقصورة على أركان الاسلام فحسب ولكن علينا أن نفعل الخير بكل صوره ما استطعنا الى ذلك سبيلا حتى ولو فقدنا القوة المادية وأن نهجر الشر وأن نجاهد في سبيل أ نقاذ الانسانية من كل شرورها وما يحل بها بالدعوة إن قبلوا فإن أبو ومنعوا فليس إلا الحربى بيننا وهم الظالمون ونحن المدافعون ولا مناص من حراسة الحق ولو بالقوة وهو الأمر المشروع في القوانين الوضعيه والسماويه ولسنا نبدأ من فراغ فلا بد للداعية من نفس قوية تأبى الذلة والخنوع وتسعى الى معالى الأمور بإرادة قوية ووفاء ثابت وتضحية شاملة ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له واستماته في سبيله ولم تتردد شعوب في هاوية المهانة والاحتقار إلا عند

فقدنا لكل هذه المعاني الجليلة التي لا كيان لشعب بدونها ولنن كان هناك من لم يرقه شيء من هذا أو يستسغه فإننا نقرر صادقين بأنه ليس هناك من طريق آخر لنكون أمة قوية عزيزه إلا هذا الطريق الشاق الطويل الذي لا يقدر على اجتيازه واحتمال مشاقه إلا من أراد الله به خيرا فهداه الى هذا الطريق وأعانه على اجتيازه لا في صبر فقط ولكن في رضاء كامل .

قد يتوهم البعض أننا قوم نظريون ولسنا عمليين على الإطلاق ولكن الناس أعداء ما جهلوا لن تجد حزبا أو هيئة أو جماعة أو جمعية في مصر لها من الأمور العملية الواقعية ما للإخوان المسلمين وإنى أقدم من رسائل الامام الشهيد أمثلة لا استقصاء فأسأل عن منشآت الجماعة في الاسماعيلية وفي شبراخيت وفي المحمودية وفي القاهرة وغيرها مؤسسات اقتصادية وتجارية ومصانع نسيج وشركات في مختلف ضروب الصناعة والتجارة والزراعة ولولا المصادرات المستمرة من الحكومات لكان الاخوان يمتلكون أكبر الشركات والمصانع والمعامل في منطقة الشرق الأوسط . ولو نظرت اليوم الى كثير من الشئون العملية كالبنوك وغيرها لوجدت وراءها العديد من الاخوان المسلمين حتى الصحافة والمطابع والنشر لنا فيها دور غير منكور .

هذا غير الدروس والشعب والرحلات والزيارات كل ذلك من صميم قروش الاخوان الذين يشرفهم أنهم لم يتلقوا مددا أو معونة من غير أخ مسلم اللهم إلا خمسمائة جنيه تبرعت بها شركة قتال السويس مساهمة في إنشاء المسجد هناك هذا إلا أن الاشتراك المالى في الجماعة على سبيل التطوع لا عن طريق الالزام . والاخوان عمليون بدعوتهم المسلمين الى الجهاد لأنه سنام الأمر وذروته في هذا الدين ولو كلفنا حياتنا إذ ما قيمة حياة قوامها الجبن والحرص على الحياة ولو بمذلة وما قيمة الإمعة الذى يسير فى كل ركب وفى ركب كل ظالم إنه الموت الحقيقى .

“ ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء “

إن الجهاد واسع الجنبات فمن الجهاد الحسرة على ما وصل اليه حال المسلمين ومن الجهاد الغيرة المؤرقة لتقبل هذا الضيم والسكوت عليه ومن الجهاد الاهتمام بشأن المسلمين وتفقدهم أحوالهم والتفكير فى الخلاص ومن الجهاد الانفاق من مالك ووقتك وصحتك فيما ينفع المسلمين ومن الجهاد أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . ومن الجهاد أن تتنكر لمن يتنكر لدينك وتشتمن منه ومن الجهاد أن تكون فى صف البنين المرصوص وأيضا كل شيء فيك وعندك لله ومن الجهاد أن تحب المجاهدين وتدعو لهم إن قعدت عن مناصرتهم والعمل معهم ومن تمام فضل الله أن كل نوع من أنواع الجهاد يفضى الى النوع الآخر مما يسهل الأمر على كل مسلم أن يعد من بين المجاهدين ويجمعها كلها قوله تبارك وتعالى : { وجاهدوا فى الله حق جهاده } ولا حجة بعد ذلك لمسلم ألا يكون من بين صفوف المجاهدين .

الحلقة التاسعة

* نلزم الأمة بالجهاد ونطالب بالنهوض بالرجل والمرأة معا .

* نرفض مظاهر الفرقة ونعمل على تأكيد وحدة الأمة .

* هدفنا تحرير الأمة من أى سلطان أجنبى .

رغم الاختلاف مع الاستاذ عمر التلمسانى حول منهج كتابته للمذكرات حيث كان من الأفضل التركيز على الأحداث والوقائع التى هى نبض التاريخ وعناصره الأولية انطلاقا من رؤيه صحفية فقد رأى فضيلته أن المذكرات يجب أن تركز لتسجيل المبادئ التى يعتنقها على أن يقوم بالتدليل على صحة أقواله من خلال أحداث عاشها أو عايشها وقرر أن يتقدم بالادلاء بشهادته فيها .

وهو يريد ألا تكون مذكراته مادة لإشباع فضول القراء تنتهى فاعليتها بمجرد انتهاء القارىء من السطر الأخير فى الحلقات لكنه كداعية يريد أن يوظف الحدث التاريخى لخدمة العقيدة والرأى اللذين انطلق منهما .. حتى ولو كان ذلك خروجا على المؤلف الذى تعود قارىء المذكرات فى الصحافة العربية ونحن فى النهاية نرى أن الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية .

وهو يستهل هذه الحلقة التي يوضح فيها “ المنهج الاجتماعي للإخوان ” بتسجيل رأيه حول هذه المسألة الخلافية بالنسبة لتكنيك كتابة المذكرات .

يقول الاستاذ عمر التلمساني :

قد يفضل القارئ الذى يقرأ مذكرات من أى نوع أو لأى ممن يكتبون المذكرات أن يقرأ أحداثا ووقائع ولكننى لا أذهب هذا لمذهب فالأحداث والوقائع تستميل الذين يحبون التاريخ ولا يميلون الى التاريخ نفسه . والعلم بالأحداث والوقائع قد يطويه النسيان لأن الإنسان ما سمي إنسانا إلا لكثرة النسيان كما يقول البعض ولكن المذكرات التى تجمع بين بعض الأحداث وبين الرأى والفكرة والعقيدة لأنها ضرب من ضروب العلم الذى نفتقده فى كثير من المذكرات التى تستهوى جانبيا كبيرا من القراء لما مر بهذا أو ذاك فإن شعر القارئ أو أحس الناشر بالملل أو عدم الفائدة فما ذلك بذنبى لأنى أوقفت قلمي على الدعوة الى الله بالأسلوب الذى أكون فيه صادقا مع نفسى أما إرضاء القارئ أو الناشر فأمر ليس له فى موازينى من حساب سواء راجت المذكرات أو لم ترج ولكل وجهه هو موليا . هذا الى أن مذكرات الأحداث والوقائع كثيرا ما تتأثر بالآهواء وبعض المواقف أما مذكرات العقائد فليس للآهواء إليها من سبيل لأنها مقيدة بكتاب وسنة وإجماع فأنت كصاحب كتاب ما فرط فيه الله من شىء ملزم بالاكتثار من تلاوته والتعب به لصاحب العزة والجلالة وأنت محمول على أن تجعله مصدر الفكر والعمل عندك لحاجات الدنيا ومطالب الآخرة والذى لا يلفت النظر الى هذا فى مذكراته فإنه لم ينصحك ولم يدلك على طريق النجاح وهما فى تقديرى من أهم دوافع الحرص على تسطير المذكرات . من أجل هذا كان من أهم ما يلزم به الأخ نفسه أن يكون له ورد قرأتى كل يوم لا يصرفه عنه أى صارف من الصوارف لقد كان الالتزام السبب الأول فى صبر الإخوان فى السجون على مشاقها ومتاعبها فى حين نرى المسجونين من أصحاب الرأى يعرفون مظهر الضيق والكآبة فى السجون وكنا نلتقى على السمر البرىء فى غياهب السجن حتى يظن الناس أننا غير شاعرين بما نحن فيه .

درس فى المصارعة

جاءنى الاخ محمود زينهم ونحن فى سجن الواحات يقول : سنقيم فى الغد سهرة نسمر فيها سمرا نظيفا ومن بين فصوله فصل للمصارعة الرومانية وأنا كما تعرف من أبطال هذه المصارعة فى مصر قلت : وما شأنى بالمصارعة وأنا لا أعرف “ البراولية ! ” ولا الجذبة الخاطفة .

قال سأعطيك درسا مبسطا وفى السر دون أن يعلم أحد وعندما يأتى دور المصارعة سأنتقد المصارعين القداماء فتتحمس لهم وتندفع الى الحلبة مهاجما لى ونلتحم وبعد بضع دقائق تمسك بعنقى فأستجيب لك وتلقى بى الى الأرض وتضع قدمك على صدرى وتنفض يديك وكأنك فرغت من عمل بسيط وتمت اللعبة وانبهر الأخوان وصفق جنود الحراسة وكانوا يحضرون الحفل . وفى الليلة التالية كانت تمثل رواية وعظيمة دينية وافتتحتها بكلمة فقال جندى لزميله : أترى هذا الرجل العجوز الذى يتحدث لقد صرع بطلا من أبطال المصارعة فى مصر وسمعها أخ كان يجلس الى جوارهما فنقلها الى وكانت تسرية وكان سجن الواحات فرصه لمعرفة أخلاق رؤساء سجنه فمنهم من كان يتشدد الى حد الحرمان من الخروج من الزنازين إلا لقضاء الحاجة الى جانب ما يختصنا به من دور شتانه واتهاماته حتى إن عسكره يسموننا “ مختلسى الدولة ” ومنهم من كان يترك الأمور تسير فى مجراها الطبيعى دون تعقيد .

ولقى الجبارون منهم ربهم دون أن يحظوا بالاستثناءات التى كانوا يأملونها من وراء التشديد معنا فضاعت منهم الدنيا والآخرة على السواء ومن فضل الله أننى ما كنت أشعر بضيق السجن إذ اعتبرته قدرا من أقدار الله التى لا تتخلف وحمدت الله أن لطف بى فى قضائه فأدخلت السجن فى تهمة تشرفنى وأعتبرها وساما وضاء على صدرى ولم أدخله فى تهمة تمس شرفى أو تحط من قدرى وكنت من أشد الإخوان عطفًا على الذين عجزت طاقتهم عن تحمل أعباء السجن فقدموا الالتماسات والرجاء الى من ألقى بهم فى صحراء الواحات وبلغ الأمر أن بعضهم كان يأتينى على استحياء يخبرنى بأنه يريد أن يؤيد ولكنه يتحرج من الإخوان ويريد دفع هذا الحرج بأنه استأذنى فى

هذا التأييد وما كنت أضن على أحدهم باستجابة هذا الرجاء لتأكدى من أن من دار بخلده أن يؤيد فلن يردده شيء وكنت أحب أن أحفظ عليه ماء وجهه ولعل كل هذا كان من نتائج إقبالى على القرآن وحفظه ودراسته وما كنت تجد أخا فى سجن إلا ومعه مصحفه .
لقد أهملنا الصلة بكتاب الله فأهمل شأنا وظننا أننا نحفظ القرآن وهو الذى يحفظنا ولسنا نحن الذين نحفظه كما نزعم وندعى ولو أن حكومتنا عنيت بمبعوثيها الى الخارج فالزمتهم بحفظ القرآن ومدارسة علومه قبل أن تلقى بهم فى خضم مغريات الغرب لما أفسدت أفكارهم فظنوا بدينهم الظنون ولما ضلت عقولهم فعادوا إلينا يحملون مظاهر مدنية تافهة من الأكل والشرب والملبس والمظاهر والعادات فانزلقنا فى مهاوى التغريب على غير وعى سليم .

الإصلاح الاجتماعى

إن للمسلمين منهاجا قرآنيا فى الإصلاح الاجتماعى لخصه الامام الشهيد فى :

1- الربانية .

2- التسامى بالنفس الانسانية .

3- تقرير عقيدة الجزاء

4- إعلان الأخوة بين الناس

5- النهوض بالرجل والمرأة معا .

6- ضبط الغريزتين حفظ النفس وحفظ النوع .

7- الشدة فى محاربة الجرائم الأصلية .

8- تأكيد وحدة الأمة والقضاء على كل مظاهر الفرقة وأسبابها .

9- تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة والملك والعمل والصحة والحرية والعلم والأمن لكل فرد وتحديد موارد كسبه .

10- إلزام الأمة بالجهاد .

11- اعتبار الدولة ممثلة للفكرة وقائمة على حمايتها ومسئولة عن تحقيق أهدافها فى المجتمع الخاص وإبلاغها الى الناس جميعا .

هذا هو المنهاج الاجتماعى للإخوان الذين يقول خصومهم إنه لا منهج لهم فى الحياة .

صادر كل أوراقى

كم كنت أود من صميم قلبى أن أظهر فى هذه المذكرات بعض الرسائل المتبادلة بينى وبين الامام الشهيد ولكن أود الناصر لما فتشوا بيتى أخذوا كل الأوراق التى فيه حتى دوسيهات القضايا الجنائية التى كنت موكلا فيها للمرافعة وكانت خسارة تاريخية لم يستفد من تسبب فيها شيئا إلا كما يستفيد الغراب الذى يخطف قطعة الصابون فلا هو أكلها فتغذى منها ولا هو تركها لصاحبها يستعملها فى ما ينفعه وهكذا الشريك الأحمق يخسر ويخسر . لقد قامت الدولة الاسلامية قويه بادية النفوذ والاحترام العالمى ثم تسللت اليها عوامل التفكك والانحلال وها نحن اليوم نحمل تركة مثقلة بالمتاعب مبعثرة القوى متفرقة الاتجاهات ينخر فى كيانها سوس الوقيعه الصليبية والصهيونية والشيعية . وقام الاخوان المسلمون للقضاء على هذه العوامل المهلكه وليعودوا بأمتهم الاسلامية الى ما كانت عليه من عزة وأمجاد قام الامام الشهيد كما يقول بهذه الدعوة لتحقيق هدفين أساسيين أولهما : تحرير الأمة الاسلامية من كل سلطان أجنبى فى الحرية والاقتصاد والاجتماع والقوة العسكرية لحمايتنا من الأعداء .

ثانيهما : أن تقوم دولة إسلامية حرة تحكم بتعاليم القرآن . أما أهدافنا الخاصة فلا حد لها تبدأ من القضاء على الأمية والفقر والجهل والمرض وتنتهي الى مجتمع استكملت فيه كل عناصر ومظاهر الرفعة والجلال .
والوسيلة الى ذلك عوامل أصلية يمكن حصرها في ثلاثة :

1- الايمان العميق .

2- التكوين الدقيق .

3- العمل المتواصل .

وهناك وسائل إضافية وكل هذا سيلقى عنتا ومقاومة . ويشارك في انتقادكم والنيل من الاخوان ممن هم أولى الناس بمناصرة الإخوان لأن في انتصار الاخوان إعادة لمكانتهم التي لم تعد كما كانت عليه في زمن السلف الصالح وسيقف كل من لا يعرف حقيقة هذه الدعوة في وجهها ومناهضتها لكن عوامل النجاح في هذه الدعوة كفيلة بفضل الله بتذليل كل الصعاب " والله غالب على أمره " فهي دعوة الله وهذا عنصر القوة هذا الى براءتنا من كل المطامع الشخصية . وما تهم الاتجار بالدين والرغبة في الحكم إلا أضاليل وأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان .

وانظر الى بعد نظر فضيلة الامام الشهيد في وصيته للإخوان المسلمين جميعا حيث يرى والاخوان في تمام انتشارهم واتساع دعوتهم وكثرة شعبهم يرى أنه تنتظرهم ساعات عصيبة بحال فيها بينهم وبينه . وصيته أن الاخوان ليسوا جمعية خيرية ولا حزبا سياسيا ولا هيئة موضوعية محدودة المقاصد إنهم روح جديد يسرى في جسد هذه الأمة فيحييه بالقرآن ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله وصوت داو يردد دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه عبء يتحملة الاخوان بعد أن قعد عنه الناس وإذا قيل لكم إلام تدعون ؟ فقولوا ندعوا الى الاسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . والحكومة جزء منه والحرية فريضة من فرائضه فإن قيل لكم هذه سياسة فقولوا هذا هو الاسلام ونحن لا نعرف هذه الأقسام فإن قيل لكم إنكم دعاة ثورة فقولوا نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتر به فإن ثرتم علينا ووقفتم في طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا وكنتم الثائرين الظالمين فإن قيل إنكم تستعينون بالاشخاص والهيئات فقولوا { آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين } فإن لجوا في عدوانهم فقولوا { سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين } ، رأيتم الى هذه الوصية وكأن صاحبها يرى بظهر الغيب أو أنها فراسة المؤمن التي لا تخيب لقد تحقق في واقع الحياة كل ما وصى به الامام الاخوان فقد لقي الاخوان أوقاتا عصيبة على يد أعوان فاروق وعبد الناصر والسادات بصور ما كان يتصور أنسان أنها تقع من آدمى في مشاعره وقلبه ذرة من يقين أو إيمان . لقد آذى هؤلاء الناس الإخوان إيذاء الذي يثار لما له ممن أخذه أو تعرضه ممن انتهكه أو لأبيه أو ابنه أو أخيه ممن قتله حقا لقد كان إيذاء دونه شراسة الضباغ ودموية النمرور وفتك الذئاب والأسود في أشد الغابات ظلمة وحلوة لماذا ؟ لا يمكن التعليل . أهم غير مسلمين ؟ لم نفهمهم بذلك أهم أوفياء لأسياهم ؟ إن الوفاء والوحشية لا يلتقيان في قلب واحد !! أهم مأجورون من خصوم المسلمين ويزداد أجرهم كلما أفحشوا في تعذيبهم ؟؟ لم نرمهم بهذه الجريمة المنحطة الخسيسة . إذن لماذا يفعلون ذلك ؟ علمه عند ربي وقد تكشف الأيام من الاسرار ما كان خافيا .

وقد حصل ما توقعه الإمام الشهيد فحيل بينهم وبينه فاعتقلوا الاخوان وأبقوا الإمام وحيدا وسحبوا منه سلاحه المرخص ثم أغتالوه وليعلم الناس جميعا مدى تجنى الحكومات على الاخوان فأجهزة الدولة كلها مسخرة لمهاجمة الاخوان واتهامهم بالارهاب إذا ما قتل وزير أو رئيس وزارة . أما أن يتم اغتيال الامام الشهيد علانية أما أن تقتل السلطة الشهداء عبد القادر عودة وإبراهيم الطيب ويوسف طلعت في جريمة شروع في قتل كما يزعمون هم الذين دبروها أما أن تقتل السلطة الشهيد سيد قطب ويوسف حواش ومن معهم أما أن تمتلئ السجون بالمئات من الشهداء فهذا شيء تسدل عليه أكثف ستائر الصمت المشين ولا تتحدث عنه أجهزة الاعلان لا تصرحيا ولا تلميحا ولكن الله قيض لمصر قضاء عادلا كشف المستور من كل هذه الجرائم الوحشية وإذا كان الاخوان قد قتلوا فإن السلطات أطلقت يد زبائنها لا في القتل والتعذيب ولكن في انتهاك أعراض الحرائر أمام ذويهم المقيدين بين ضحكات أولئك الأنجاس وتعليقاتهم التي تدل

على المنبت والأرومة . هذا هو العدل فى عهد من لا يرعون فى أخ مسلم إلا ولا ذمة . ولو أتاحت لهم الفرصة لأعادوا الكرة غير معتبرين بمصائر حمزة البسيونى وعبد اللطيف وغيرهم ممن بطشت بهم يد القدر . إنهم يمعنون فى الأيذاء المتوالى والدأب على التخلص من الإخوان ظنا منهم أن الإخوان لا بد أن يثاروا منهم إذا مكن لهم ولكنها ظنون الأنفس التى لا ترى فى غيرها إلا ما تعكس مرآيا أفعالهم الذميمة . أما الإخوان فما فكروا يوما فى أن ينتقموا من أحد أو يثاروا لأنفسهم لعلمهم أن ما حل بهم لم يكن لعداء بينهم وبين تلك الحكومات ولكن الحكومات تحارب دعوة الله فالإخوان يتركونهم لبطش الله " إن بطش ربك لشديد " .

الإخوان هيئة سياسية

السبب فى أن فكرة الإخوان إسلامية بحته غاية ووسيلة لا صلة لها بغير الإسلام . السبب أن الامام الشهيد حصر تفكيره فى غاية واحدة هى إرشاد الناس الى الإسلام حقيقة و عملا وهذا فوق ما وصل اليه حال العالم الإسلامى من تأخر وانزواء وتبعية واستعمار الحال الذى لا يؤدى مشاعر الامام فحسب بل يؤدى مشاعر أى إنسان له اهتمام بمصالح المسلمين . وشغله هذا الاهتمام حتى إنه التقى بالكثير من كبار القوم فى مصر وكان منهم المثبط ومنهم المحذر . وفى هذه الجولات التقى بالمرحوم " أحمد تيمور باشا " فوجد منه اهتماما بالغاً فى هذا المجال أما فى محيط معارفه وأصدقائه فكان أسرع الملبين " الأستاذ أحمد العسكرى " والمرحوم " الشيخ حامد عسكرية " والشيخ أحمد عبد الحميد " فتقاسموا وتعاهدوا على أن يصبغ كل مافى هذا البلد بالصبغة الإسلامية .

ثم فعل الزمن فعله ففترق هؤلاء الأربعة كل فى مكان بعيد عن الآخر . ولذلك كانت الاسماعيلية هى البلد التى وضعت فيها النواة الأولى للإخوان المسلمين فى ذى القعدة 1347 هـ وقامت على هذه القواعد الأصولية فدعوة الإخوان المسلمين :

- 1- دعوة سلفية تعود بالمسلمين الى المعين الصافى من الكتاب والسنة .
 - 2- طريقة سنية التزاما بأفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحاديثه .
 - 3- حقيقة صوفية لظاهرة النفس والمواظبة على العمل والاعراض عن الخلق خوفا أو رغبة .
 - 4- هيئة سياسية تطالب بإصلاح الحكم فى الداخل وصلة الامة الإسلامية بغيرها من الأمم وتربية الشعب على العزة والنبيل .
 - 5- جماعة رياضية .
 - 6- رابطة علمية ثقافية .
 - 7- شركة إقتصادية
 - 8- فكرة إجتماعية تعنى بعلاج أدواء المجتمع .
- ثم كان من خصائص هذه الدعوة :
- أ - البعد عن مواطن الخلاف .
 - ب - البعد عن هيمنة الكبراء .
 - ج - البعد عن الأحزاب والهيئات .
 - د - العناية بالتكوين والتدرج فى الخطوات .
 - هـ - إثارة الناحية العملية على الخطب والاعلانات .
 - و- شدة الاقبال من الشباب
 - ز- سرعة الانتشار فى القرى والمدن .

وبعد ذلك بدأت مرحلة إيصال الفكرة للجماهير ثم تخير الأنصار وإعداد الجنود وتعبئة الصفوف . ثم خطونا الخطوة التالية :

- 1- الكتابات للتعارف وإحسان الصلة بالله .

2- الفرق الكشفية والجوالة والألعاب الرياضية لتقوية الصف والطاعة والنظام .

3- درس التعاليم فى الكتاب وأندية الإخوان .

وأسمع الامام الشهيد يصارح الإخوان المصارحة التى تدحض كل ما نسب الى الرجل والاخوان المسلمين اسمعه يقول : " أيها الإخوان المسلمون - وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم - اسمعوا منى كلمة عالية مدوية من فوق هذا المنبر فى مؤتمرهم هذا الجامع أن طريقكم هذا مرسوم خطواته موضوعة حدوده ولست مخالفا هذه الحدود التى اقتنعتكم كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول . أجل قد تكون طريقا طويلا ولكن ليس هناك غيرها إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه فى ذلك بحال وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات . ومن صبر حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطاف فأجره عند الله فى ذلك . ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين إما النصر والسيادة وإما الشهادة والسعادة فهل بعد أن يجاهر الناس بهذه الصراحة وهذا الوضوح يقال عن الرجل وعن الإخوان ما يروجه المغرضون أعداء دعوة رب العالمين . إن رأى العام والحمد لله تبين كل هذه الأكاذيب والأباطيل وعرف على وجه التأكيد أهداف الآخوان ووسائلهم ولذلك تمتد فروع هذه الدعوة يوما بعد يوم وفى كل مكان .

إن تعاليم " حسن البنا " أصبحت مدرسة يتلمذ عليها الملايين من الشباب الراغب فى الدعوة الى الله وما عاد فى قدرة إنسان أن يقف فى وجه هذا المد الإسلامى السليم مهما حصل عليه من دكتوراهات وما جستيرات لقد أفلت لزاما من أيديهم وراح الجواد يسابق الريح فى حلبة الدعوة الى رب الأرباب موفق الشباب الى ما فيه العز فى الدنيا والآخرة .

استمعوا أيها الناس الى هذا الملهم الموهوب يقول فى ثقة وعزة وعلم " أيها الإخوان المسلمون أجموا نزوات العواطف بنظرات العقول وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع واكتشفوا الحقائق فى أضواء الخيال الزاهية البراقة ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلبة ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض وترقبوا ساعة النصر فما هى منكم ببعيد " .

أبعد هذا كله يريد أصحاب الأهواء والدوافع الخفية أن يظلوا على اتهامهم للإخوان المسلمين بأمور هم براء منها براءة الطهر من الدنس . ليس لنا مع المفترنين حيلة لأن من يخلق ما يقول فحيلتنا فيه قليلة أو مستحيلة .

إن اتهمونا بحب القوة لأمتنا ف شعار الإسلام القوة " وأعدوا " إن لنا من بعد النظر ودقة التفكير ما يصرفنا عن السطحية وفورة الاعصاب . إننا نعرف أن أول درجات القوة هى قوة العقيدة والايمان ثم قوة الوحدة وآخر الدواء قوة الساعد والسلاح فإذا لجأنا الى العامل الأخير قبل استكمال العناصر الأولى فالمصير الهزيمة والبوار . إن الإسلام لم يوص بالقوة اعتبارا دون شرط وحدود . إن مصر جربت الثورات فلم تجن منها إلا ما نعيش فيه من تفكك وأزمات . إن الإخوان لا يفكرون فى الثورة كوسيلة ولا يعتمدون عليها كأسلوب .

الحلقة العاشرة

* النهج الاقتصادى الإسلامى هو المخرج الوحيد من الأزمات المالية .

* فصائل الإخوان أزهت اليهود . وديان اعترف بذلك صراحة

* المال الصالح هو الحياة ولهذا نحرّم الكسب الخبيث .

لأن الإسلام دين العدل والحرية فقد استمد المرشد الأول للإخوان المسلمين المنهج الاقتصادى لجماعته من التشريع الإسلامى انطلاقا من قول الله تعالى : { ما فرطنا فى الكتاب من شيء } .

والمشرع الاسلامى أدرك ببصيرته النافذة جوهر المشكلات الاقتصادية التى تراكمت فى المجتمع المسلم نتيجة لقرون السلب والنهب والتخريب الذى مارسه الموجهات المتتالية للاستعمار الصليبي والصهيوني لبلدنا ... حيث تحولت هذه البلاد الى مزارع ومناجم يغترف من خيراتها الغاصب المحتل ما شاء وقتما شاء ... كما تحولت هذه البلاد الى أسواق رائجة يوزع فيها الغاصب منتجاته بالسعر الذى يراه دون منافسة .

وفى ضوء هذا حال الغاصب المحتل بين شعوبنا المسلمة وبين إمكان قيام صناعة محلية حتى تظل يده الناهية تغترف المواد الخام كلها الى بلاده وتظل أسواقنا حكرًا على منتجاته وتظل حياتنا مرتبطة بما يبعثها لنا وترتب على ذلك أن ظلت شعوبنا ترسف فى أغلال الجهل والفقر والمرض قرونا كأنها الليل الحالك الذى لا يولد منه صباح .

* وفى هذه الحلقة من مذكراته قام الأستاذ " عمر التلمساني " بتسليط الضوء على المنهج الاقتصادى لجماعة الاخوان المسلمين كما أرساه المرشد الأول " حسن البنا " حيث يقول :

لا ننظر أن الاسلام قاصر فى المجال الاقتصادى أو مقصر . لقد نظر إمامنا الشهيد فى الاسلام الى اناحية الاقتصادية وخرج منها بالقواعد الآتية :-

- 1- اعتبار المال الصالح قوام الحياة ووجوب الحرص عليه وحسن تدبيره وتثمينه .
- 2- إيجاب العمل والكسب على كل قادر .
- 3- الكشف عن منابع الثروات الطبيعية ووجوب الاستفادة من كل ما فى الوجود من قوى ومواد .
- 4- تحريم موارد الكسب الخبيث .
- 5- تقريب الشقة بين مختلف الطبقات تقريبا يقضى على لثراء الفاحش والفقر المدقع .
- 6- الضمان الاجتماعى لكل مواطن وتأمين حياته والعمل على راحته وإسعاده .
- 7- الحث على الاتفاق فى وجوه الخير وافتراس التكافل بين المواطنين ووجوب التعاون على البر والتقوى .
- 8- تقرير حرمة المال واحترام الملكية الخاصة ما لم تتعارض مع المصلحة العامة .
- 9- تنظيم المعاملات المالية بتسريع عادل رحيم والتدقيق فى شئون النقد .
- 10- تقرير مسئولية الدولة فى حماية هذا النظام .

ولم يترك هذه البنود فى هذا الحيز الضيق والكلمات المعدودة ولكنه تعرض لكل بند منها بشيء من التفصيل الذى يكفى لأن يكون عدة لكل باحث أو مسئول . كما تحدث عن استقلال النقد وتمصير الشركات واستقلال الثروة والصناعة ونظام الملكيات فى مصر ونظام الضرائب ومحاربة الربا وتشجيع الصناعات المنزلية وتقليل الكماليات والاكتفاء بالضروريات .

ثم يقال بعد ذلك إنه ليس لدى الاخوان مناهج يقدمونها لحل المشكلات . إن جماعة الاخوانا لمسلمين هى الهيئة الوحيدة ذات المنهج الذى لم يصل اليه حزب أو هيئة أو جماعة ولكن ما ذا نقول لمريض ينكر طعم الماء لسقمه أو ينكر ضوء الشمس لرمده .

الخلل الذى فى حياتنا

إن التشريع الاسلامى أوسع تشريع فى العالم منذ بدايته حتى منتهاه { ما فرطنا فى الكتاب من شيء } لأنه { تنزيل من حكيم حميد } ليس فيه للرجعية أو للتأخر أو للبلادة ذرة من وجود . كله علم ورقى وفخار ودقة إحكام وابداع فى تصوير المسائل وسعة نظر على أشمل ما تكون السعة وقد اجتمعت على هذه المعانى كل المؤتمرات التشريعية فى كل مكان وزمان . إن الاسلام يبيح لنا الانتفاع من كل تشريع فيه شيء يخدم الإنسانية كلها .

عندنا الاجتهاد والمصالح المرسله واعتبار العرف واحترام رأى الامام فى كل ما لا يتعارض مع قاعدة أصولية من قواعد الدين . وإذا كان للإمام الشهيد من رأى فى الحزبية السياسية فإنه يقول بغاية الوضوح إنه لا يجب أن يفرضها على الناس لأن ذلك ليس له ولا لأحد ولكنه لا يرى كتمان رأيه ويقدمه للناس على سبيل النصيحة هذا هو إمام الاخوان المسلمين الذين ظلموهم بالتعصب والرجعية. وهل نحن فيما نحن عليه نمت الى تعاليم الاسلام الصحيحة بصلة فى :

- 1- نظام الحكم الداخلى .
- 2- نظام العلاقات الدولية
- 3- نظام القضاء
- 4- نظام الدفاع والجندية .
- 5- نظام المال والاقتصاد للدولة والأفراد .
- 6- نظام الثقافة والتعليم .
- 7- نظام الأسرة والبيت .
- 8- نظام الفرد فى سلوكه الخاص .

من أجل هذا الخلل وحده قام الاخوان بدعوتهم للناس الى الهدى .. ولما كان هذا الهدى يحرم البعض مما هو فيه وعليه كانت المحن التى لا حقت للإخوان المسلمين منذ قيامهم الى الآن والعجيب مرة أخرى أن جميع الأحزاب اليوم تطالب بتطبيق الشريعة الاسلامية هذا المطلب الذى مضى على الاخوان عشرات السنين يسعون لتحقيقه ولئن صدقت الأحزاب فأخرجت الوعود الى حيز التطبيق فنحن أخلص جنودها وأصدق مؤيديها ولا نمن على أحد بأن الفضل للسابق .

ولئن تساءل الناس من أين لنا القوة التى نواجه بها الطغيان المادى فسلحنا سلاح رسول الله صلى الله عليه وسلم إيمان بالله وبقين فى صدق الدعوة وسموها وثقة بأنفسنا . إنه إن لم يثق المسلم بقدرة الله على كل شئ بلا استثناء ويثق بأنه أهل لحمل كل عبء يتخاذه عنه الناس أنه إن لم يثق المسلم بأنه أستاذ العالم وأنه يدعو الى أضخم دعوة فبطن الارض خير له من ظاهرها .

إننا لا نقول للمسلمين حكما ومحكومين ألقوا بأيديكم الى التهلكة ولكننا نقول لهم عيشوا فى إسلامكم وتمسكوا به وخططوا على مهل وسلموا الراية لمن بعدكم على هذه المعانى وإياكم والرعونه والحماس الكاذب والتهور الأعمى والاندفاع فى الظلام . إن الاخوان لا يطالبون المسلمين بأكثر من التجرد الكامل والفهم الواعى والأخوة الصادقة والجهاد الحكيم المدروس والتضحية فى سبيل الله فهل بعد ذلك من غموض فى دعوة الاخوان ؟ ، وهل ما ندعو المسلمين اليه مستحيل التحقيق . إن الله كلفنا العمل فى العديد من آيات القرآن ولم يكلفنا ولا فى آية واحدة أن نضمن تحقيق النتائج فذلك أمر إليه وحده لا شريك له فيه .

محاربة الفساد

إن النظام الاجتماعى فى مصر تعروه مفسد جمة فالسكان فى تكاثف والأرض الزراعية فى انكماش ولا بد من الموازنة حتى لا تسوء النتائج وليست الموازنة فى تحديد النسل ولكنها فى توسعة الأرض الصالحة للزراعة . ثم إن المستغلين الذين ما تت ضمانتهم يذهبون مئات الملايين من دخلنا ويهربونها الى الخارج ثم يهربون وراعاها والذين يسهلون لهم هذا النهب معروفون عن يقين . استغلال الشركات الأجنبية لنا بما وضع لها من تسهيلات بحجة اجتذاب الأموال من الخارج وهى حجة ظاهرها الخير وباطنها من قبله الشر كل الشر المرض الفتاك الجهل المطبق الانحطاط الخلقى المريع ترك التعاليم الاسلامية وتقليد الغرب إنها شرور متراكمة كحلوة الليل الأليل. متى نصدق فى علاجها ؟ جربنا كل التجارب فلم ينجح منها ولا تجربة ولا دواء إلا العودة الى الدين الصحيح فلماذا لا نخوض غمار هذه التجربة ؟ لماذا تقف كل القوى الداخلية والخارجية ضد هذه التجربة ؟ إنهم يريدون علينا بأن الشريعة مطبقة فالناس يصومون ويصلون

ويحجون ويزكون والأزهر قائم والمساجد مفتحة الأبواب ! ، ويقولون إن هذا هو الدين الاسلامى وهو مطبق بهذه الصورة فى كل شىء
ألا عافاهم الله وأنار بصائرهم وشرح صدورهم وهادى وإياهم سواء السبيل .

تناقضات فى المجتمع

هل قيام بيوت الخنا السرية اسما العلنية معرفة من تمام تطبيق شرع الله ؟ والحانات (والكباريهات) والربا وقيود الحرية وغيرها من
تمام شرع الله ؟ إن كل شىء مما يظنونه تطبيقا لشرع الله منحرف ومعوج فخطباء المساجد محرم عليهم الكلام فيما يسميه المسئولون
بالسياسة .

والمساجد الأهلية ضمتها وزارة الاوقاف اليها لتتصرف فى رسالتها كما تشاء بيوت الناس وحرمة مساكنهم مهددة فى ظل قانون
الطوارئ وفى القوانين العادية الكفاية كل الكفاية وما على حكوماتنا الاسلامية فى العالم الاسلامى كله إلا أن تعلن أنها حكومة إسلامية
تمثل الاسلام على الصعيد كله ولا تكفى بأن دين الدولة الاسلام وكفى الله المؤمنين القتال .

وأن تحترم فرائض هذا الدين عمليا فتقف الأعمال الحكومية دقائق لتؤدى فيه الصلاة وعلى رأس الموظفين رؤساء المصالح كلها وألا
يسمح لمسلم أن يظهر إفطاره فى رمضان وأن توضع النظم لجمع الزكاة كما توضع لجمع الضرائب وأن تيسر وسائل الحج للعاجزين
ماليا عن أدائه وغير ذلك كثير فى كل النواحي وما ذلك بالمستحيل إذا صحت النوايا وصدق الاتجاه .

وأيسر الوسائل الى تحقيق ذلك كله الايمان بالحق والوقوف الى جانبه ونصرته وشحن العزائم والتشجيع عن سواعد الجد .

الاسلام دين العزة

إن الإمام الشهيد حسن البنا لم يكتف بالكلام فى صفوف الشعب ولكنه توجه بدعوته مخاطبا كل مسئول فى العالم الاسلامى . وذكرهم
بأنهم رعاة شعوبهم وأنكل راع مسئول عن رعيته إن لم يكن اليوم فغدا وحثهم على تحرير شعوبهم من كل القيود الداخلية والخارجية
وأن يعيدوا بناء الأمة الاسلامية من جديد لتنافس غيرها فى ميادين الحضارة والقوة والازدهار . وقد حث العالم الاسلامى كله عن طريق
رسالة (نحو النور) فى الاسلام والأمل والعزة القومية والقوة والجنديّة والصحة العامة والعلم والخلق والاقتصاد ونظم الاسلام العامة
وحماية الاقليات وصيانة حقوق الأجانب وأن ما يسمى برجال الدين ليسوا هم الدين نفسه وكل ذلك تجده فى رسالة (نحو النور) ولا
يحتاج إلا لتبويب ووضعه فى مواد مفصلة وهذا يقوم به الأخصائيون لا الدعاة . ثم يزيد الأمر تفصيلا وتوضيحا فى رسالة . (مشكلاتنا
فى ضوء النظام الاسلامى) وقد يعترض البعض وما أكثرهم بأن العصر غير العصر ودول العالم القوية لا تقيم أمورهما على أساس من
الدين وهذا صحيح عند من لا يعرف الاسلام ولم يدرس تعاليمه وأياسته الأحوال التى وصل إليها وطننا مصر وما وصلت اليه الأحوال فى
بلاد الاسلام والعروبة من بلاء ليس يعدله بلاء وما انحدر اليه التفكير بين زعماء العالم وساسة الشعوب من اختفاء المثل الانسانية
النبيلة والتصرف فى كل شىء على أساس من المادية المحضة والنفعية الخاصة والمصالح الوطنية المحدودة ولو احترق العالم كله فى
أتون هذه الأفكار الضيقة المظلمة وما من شك أن الزعماء العالميين وحكام الدولتين القويتين لو ظلوا على هذا التفكير الضيق والرغبة
فى أن تسود أمتهم أمم العالم عن طريق القهر والقوة فالحرب الثالثة قادمة لا محالة ولن تتورع دولة من تلك الدول عن استعمال أفك
الأسلحة وأشدّها تدميرا لخصومها ولو عم الفناء غير المتحاربين . ولست أدري هل فى الحرب الثالثة خير أم شر . إنها قد تقضى ثلاثة
أرباع العالم فتخف الضائقة الغذائية والسكانية وقد تبتعد أخطارها عن أواسط آسيا وأفريقيا فتبدآن فى الظهور مرة أخرى كى يعيد
التاريخ نفسه وقد يعود العالم الى ما بدأ به اقتصاديا يتبادل السلع بدلا من النقود وقد تأتى هذه الحروب على العالم كله ويبرق لهيبها
على الارض كما ينتشر فى أجواء الفضاء علم ذلك عند ربى فالناس لا يدرون ما ذا هم كاسبون غدا .

وحدة الحكام والمحكومين

لإن الاخوان المسلمين لم ينتقدوا ويسكتوا ولكنهم قدموا الحلول . لقد فاضنا فلم تكن إلا المراوغات والارجاء ومطالبتنا بضبط النفس والأعصاب وإرسال المبعوثين السياسيين فترة بعد فترة لدراسة الموقف فى هذه المنطقة إن هؤلاء المبعوثين يفيدون الينا تباعا منذ عشرات السنين فهل بعد ذلك لا تزال القضية غامضة لا يعرف لها مصدر ولا مبرر ولقد عرضنا قضاياها على المؤتمرات الدولية فلم نلق منهم إلا الإغفال والاهمال والامهال الى متى ؟ لست أدرى ولا المنجم يدري فلم يبق إلا حل واحد لا ثانى له وهو الرجوع الى الله والاعتماد على أنفسنا ما دام الله سبحانه وتعالى أثرى منطقة الشرق الأوسط بكل مقومات الحياة وما يلزمها من أرض صالحة للزراعة تكفيها وتزيد وكنوز مليئة بالمعادن من الملح والطين الطفلى الى الذهب أبيضه وأصفه وأسوده .

والبدء فى هذا كله لا يأتى إلا عن طريق الحكام والمسئولين لأن شعوب العالم الإسلامى على استعداد لربط الأحجار على البطون مستجيبة لحكامها إذا ما بدأوا السير فى الطريق السليم . فلو واجهنا العالم كله صفا واحدا شعوبا وحكومات لاستبان اليانسون أى عز ومجد سنحققه ونحظى به .

إن الأسلحة لا تقضى على الشعوب ما يقضى عليها الوهن والخور وفقدان الثقة فى النفس والرضا بالواقع الدليل إكتفاء بلقمة العيش المغموسة فى الضعة والذل والهوان وبها من حياة أصبحنا لا نقول غير " وكنا وكنا وكنا " لا يا قوم ؟ ليس الفتى من يقول كان أبى وجدى ولكن الفتى من يقول هأنذا . ويوم يقدر الحاكم مسؤوليته أمام الله ثم أما م ضميره والناس ويوم أن يوحد صفوف الأمة ويوم أن يثق الشعب فى حكامه ويوم أن يكون ذلك راند الجميع هناك يشرق فجر يوم جديد طالما تشوف اليه المصلحون من احترام إرادة الشعب وكيف تريد من غير محترم أن يحترم ؟ ولا تنس أن التمثيل النيابى الصحيح السليم نظام لا اعتراض للإسلام عليه .

توسطت بين الإخوان ومصر الفتاة

ونحن نؤمن أن الخلافة هى رمز الوحدة الإسلامية أما كيف تقوم فىا لنت حكام المسلمين يفكرون فى هذا الأمر الجدى الجليل تفكير من يريد للأمة وحدة قوية وارتباطا هم أول من يسعد به اطمئنانا على مستقبل حياتهم .

ونحن لا نعترض على الأحزاب إلا عن طريق أساليبها المتردية الى تمزيق شمل الأمة بسبب التعصب للرأى دون مبرر . إننا ما قصدنا يوما أن نهدم حزبا بذاته بدليل أننا ناصرنا كل حزب يأتى الى الحكم ببرامج الإصلاح والوعود البراقة حتى إذا مضت الشهور دون أن يبدو من الحزب الحاكم ما يبشر بتنفيذ وعوده ذكرناه ثم انتقدناه وأرى أن هذا حق كل مواطن أولا .. ومن واجبه ثانيا فما بالك والاخوان المسلمون هيئة لها وزنها ولها أثرها السياسى فى جميع البلاد الإسلامية لا فى مصر وحدها بل ومما يقطع بصحة ما نقول أن كل حزب مصرى لا وجود إلا فى مصر فقط أما الإخوان المسلمون فلهم فروعهم فى كل بلاد العالم الإسلامى . مما يؤكد أننا دعاة وحدة إسلامية فى كل بلاد المسلمين .

وحتى حزب " مصر الفتاة " لم ننل منه بمثل ما نال منا ونحن لا نكن لرجالاته من أمثال المرحوم أحمد حسين والأستاذين إبراهيم شكرى وفتحى رضوان وأمثالهما المودة والتقدير والاحترام ولقد دارت بيناالاخوان ومصر الفتاة مفاوضات بين المرحومين أحمد حسين وحسن البنا وكنت رسولا بين الطرفين ولكن الأيدى التى تعمل لتمزيق هذه الأمة فعلت فعلها فلم تنته الأمور الى نتيجة مرضية .

أما موقفنا من الدول الأجنبية فقوامه اعتقادنا أن العالم الإسلامى كله أمة واحدة وأى اعتداء أجنبى على بلد إسلامى هو اعتداء واقع علينا بالذات نهب لدفعه ومقاومته .

إن استقلال وحرية وعزة أى بلد إسلامى هو دعامة من دعائم عزة مصر وغيرها .

وفى سبيل ذلك نحرص على الموت لتوهب لنا - للمسلمين جميعا - العزة والقوة والحضارة لا نضن فى هذا السبيل بمال أو أهل أو ولد أو وقت أو صحة فملكها الله وفى سبيله تكون التضحية والفداء . وماأظن أن هذا بدعة فى دعوة الاخوان المسلمين لأن السلف الصالح كله على زهدة فى الدنيا وبعده على الطنطنة وحرصه على تقوية الروابط الروحية بينه وبين ربه هم أنفسهم الأسود الذين حدثنا عنهم التاريخ وعن بطولاتهم وفدائهم وصلصلة سيوفهم فى ميادين الوغى . وقد سمعنا تصريحاً لموشى ديان أيام أن كان وزيراً لدفاع العدو الاسرائيلى إنه على استعداد لأن يلقى جيوش البلاد الاسمية مجتمعة ولا يلقى عدداً محدوداً من فصائل الاخوان المسلمين لأنهم ما يصابون إلا فى صدورهم وما استشهد أخ مسلم من ضربة فى ظهره أبداً .

الحلقة الحادية عشرة

* هكذا تمت عملية اغتيال حسن البنا ؟

* الهضيبى لم يكن مرشحاً لخلافة البنا وجاء اختياره مفاجأة .

* البنا كان متحدثاً باسمه والهضيبى صامتاً رزيناً أما أنا فمختلف .

إذا كان للتاريخ جلال ووقار فإن المرشد العام للإخوان المسلمين " الأستاذ عمر التلمسانى " من القليلين الذين حملوا للتاريخ عباءة الصدق والجلال .. فهو لا ينطق الكلمة إلا بعد أن يوثقها فيعود الى الآخرين من رفاقه للإسترشاد والتذكر ويمتنع عن الخوض فيما لا علم له به يحترم الكلمة . ولا يرجو ممن يتعاملون معه إلا أن يقدروا فيه هذه الفضيلة بالعمل هم أيضاً على احترام الكلمة . يفهم الكبرياء بأنها التواضع لله ويدرك العظمة من خلال ممارسته للبساطة فى حياته العامة والخاصة .. وينفر من الجلوس وراء مكتبه فى " مجلة الدعوة " ويجلس وراء منضدة صغيره من الخشب الأبيض خشنة الملمس والمظهر تفتح ابتسامته الطيبة أمامك الطريق الى قلبه وعقله مباشرة .. " الالتزام " هو السمة المميزة لكل تصرفاته السلوكية والفكرية . قد يدهشك بخجله واحمرار وجهه - كطفل - رغم الثمانين عاماً الواقفة على كاهله .

وفى هذه الحلقة من مذكراته يستهل الأستاذ عمر التلمسانى حديثه بتسليط الضوء على مفهومه للبيعة .. يقول :

إن كل حزب فى أى بلد من بلاد العالم يقسم أعضاؤه اليمين على الوفاء لهذا الحزب ومبادئه وكل رئيس وكل أعضاء الهيئات النيابية العامة يقسمون الايمان على احترام الدستور وحمايته وتنفيذه فإذا سلك الاخوان هذا المسلك علا الضجيج وثارَت الثائرة وأشيعت الشائعات ووجهت الاتهامات وشوه وجه التصرفات وصاح المغرضون " البيعة ؟ " ما هذه البيعة ؟ ما المقصود منها ؟ إنها كلمة مشبوهة مفزعة .. معانٍ بيعتنا مع مرشدنا ما هى إلا بيعة مع الله إننا نباع بشرط ألا نؤمر بمعصية وحتى يتأكد الناس أن هذه البيعة لله وحده فقد حدد الامام معالمها وشروطها وليس فيها شرط واحد يمس أحداً بسوء أو يضمن شراً لمخلوق . إن أركان البيعة هى كما يلى وليس فيها أى مساس بأحد أو اتفاق جنائى كما يحاول البعض أن يصوروها .

1- الفهم

2- الاخلاص

3- العمل

4- الجهاد

5- التضحية

6- الطاعة

7- الثبات .

8- التجرد

9- الأخوة

10- الثقة

وكل منها له تفصيل وقام الاخوان ونجحوا بفضل الله أولا .. ثم بنظام الأسر ثانيا . هذه الأسر التي تجتمع على توجيهات أخلاقية ونفحات روحية وقواعد دينية وتعارف ومحبة بين الناس . ولكن للأسف الشديد يرى رجال الأمن أنها أكبر خطر على الأمن لأنها من الممكن أن تتسلح . ولما كان هذا الأمر يهم الأمن فعلا فقد استجاب الاخوان لإيقاف نظام الأسر حتى لا يتهموا بالعناد والتحدى ونسأل الله أن يلهم كل الاحزاب والهيئات أن تلجأ الى نظام الأسر هذا لتلمس بنفسها مدى آثاره في تقوية الروابط بين الشباب وتعاونهم على كل ما يؤدي الى خير الوطن العزيز

تعريف الجهاد

ثم تعرض فضيلته بعد ذلك للجهاد وبين مصادره في الكتاب والسنة وأنهموجه لحماية المسلمين وعقيدتهم وأنه لم يقصد به على الاطلاق العدوان والاستعمار والاستعباد والاستغلال :

أظننى بهذا قد لخصت كل شيء يتعلق بالاخوان وأسأل الله ألا يكون تلخيصا مخللا ذلك وإن لم تكن هذه المذكرات مقصودا بها التعرض لدعوة الاخوان المسلمين إلا أن هذه الناحية هي أهم نواحي حياتها وأصلحها تكويننا لشخصيتي في هذا المجتمع وما كان لي أن أكتب مذكراتي دون التحديث عن دعوة الاخوان لأنها أهم ما في حياتي وهذه المذكرات كما أفهمها ليست لتسلية قارئ وما كنت أرتضى لنفسى أن أكون مصدر تسلية لأحد أو تسرية عنه وإنما أنا أدعو الى الله بأسلوب الاخوان فلا بد وأن يقف الناس على الحق وإلا كانت هذه المذكرات أشبه بشيء من القصص ولست بالقاص ولا الراوى . وإنى حريص على أن أؤكد على جريدة الشرق الأوسط أن تحرص على نشر مذكراتي كما هي دون اقتضاب أو مراعاة لأية ناحية من النواحي وإلا فقدت هذه المذكرات أديم وأنفع ما فيها . ومن أجل هذا أهديت هذه المذكرات الى جريدة الشرق الأوسط بلا ثمن ولا مقابل لما أرجوه من ورائها من نفع عام وفائدة محققة والله من وراء القصد والآن أعود الى أحداث حياتي في هذه المذكرات .

هل التاريخ يصنع الرجال ؟

هناك خلاف بين علماء الاجتماع هل التاريخ يصنع الرجال أم أنالرجال هم الذين يصنعون التاريخ ؟ وبعبارة أخرى : هل العظماء هم الذين يأتون بالأحداث والمواقف أم أن الأحداث والمواقف هي التي تبرز العظماء ؟ الحق عندي أن الأخذ بأحد الرأيين فيه تجن على الرأي الآخر ذلك أن الناحيتين كل منهما تأتي بالأخرى علىالسواء . فلولا الحال التي وصل اليها المسلمون لما قام الامام الشهيد ولولا الامام الشهيد لما صحا الوعي الاسلامى من رقدته على عهده ويخرج من هذا الخلاف الرسل والأنبياء لأنهم مبعوثون من خالق الأحداث والمواقف وخالق العظماء . لقد كان وضع المسلمين في العشرينات وما قبلها في أشد الحاجة الى من يغير لهم ما كانوا عليه وشاءت إرادة الله أن يكون ذلك على يد الامام الشهيد فهجر كل شيء إلا الاهتمام بحالالمسلمين لأنه منهم وبرز الحقد عليه عند كل من كان يظن أن دور الاسلام والمسلمين انتهى أو كاد . منكان يظن في تلك السنين أن المسلمين سيستعيدون مكانهم تحت الشمس وأن الشباب المسلم سيستجيب الى نداء الامام ؟ لقد وصفته الصهيونية

بأنه " حسن الأعمى " بعدأن قال فيهم قول الشاعر :

" زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يامربع "

وشاء الله أن يكون حسن البنا عظيما حتى بعد وفاته لأن دعوته اليوم هي الجامعة الكبرى لكل من يريد بالاسلام والمسلمين خيرا لقد انتهى سعد زغلول باستقلال مصر ولم تبق إلا ذكراه .ز وانتهى نلسون بانتهاك معركة الطرف الأغر ولم تبق إلا ذكراه . وغيرها من أمثال كرومويل وبونابرت وقيصر وكل هؤلاء . أما حسن البنا فإن انتقل من دنيا الفناء الى عالم البقاء فإنه ليس ذكرى فحسب ولكنه رمز دعوة تبقى ما بقى الوجود لأنه لم يعمل لوطنية ضيقة أو قومية محدودة ولكنه عمل للدنيا بأسرها اقتداء بزعيمة ونبيه ورسوله وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم يوم أن نادى العالم كله { ياأيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا } .

عبقريه حسن البنا

لم يقل يا أيها العرب ولا يا أيها المسلمون ولكن " ياأيها الناس " على مختلف مللهم وألوانهم وأجناسهم إنه يعرف مهمته تماما . فلما أحس بالخطر يقترب أخذ يتردد على الوزراء فى مكاتيبهم ومنازلهم فكانوا يتهربون من لقائه لأنهم أجمعوا على التخلص منه فلما طالب الوزارة باعتقاله مع الإخوان أو فى معتقل إنفرادى أبوا عليه ذلك لأن الأمر عندهم استقر على اغتياله ولنن اغتال بعض الشباب بعض الوزراء فهذا مالا تفرقه جماعة الإخوان المسلمين فإن حسن البنا اغتالته دولة بأسرها ., وتلك عظمتة . فوزير يغتاله شاب أما حسن البنا فأمنع من ذلك وأعز ولا تقدر على اغتياله إلا دولة بكل إمكاتها وجيشها وشرطتها . رأيت " حسن البنا " كيف كان علما حتى فى اغتياله .

وأنا لا أدعى أنى كنت من أكثر الإخوان صلة بالأستاذ لأن عملى وإقامتى لم يكونا فى أول الأمر بالقاهرة بل كان من الإخوان من هو أكثر صلة به منى أمثال د. حسين كمال الدين واللواء صلاح شادى والأستاذين صالح أبو رقيق وفريد عبد الخالق وأمثالهم . وكما يحدث فى كل جماعة أو حزب أو مجتمع فقد كان لبعض الإخوان آراء واقتراحات تتعارض مع فريق آخر ولكنى بحمد الله كنت بعيدا عن هذه الخلافات كلها وكنت أرى وأسمع وأفكر بعين فضيلته وآذانه وعقله لثقتى المطلقة فى صواب كل ما يرى وقد يكون فى هذا شىء من الخطأ أو الغاء الشخصية عند بعض الناس ولكنى كنت معه " كالميت بين يدى مغسلة " وكنت سعيدا بهذا كل السعادة . وللحقيقة فقد كانت مكانة الإمام الشهيد والإمام الهضيبى فوق كل مكانه فى جماعة الإخوان المسلمين فما ترمد عليهما أحد اعتدادا بمكانته إلا وكان مصيره النبذ والابعاد وتلك من مميزات جماعة الإخوان المسلمين الطاعة المطلقة لمرشدهم فى غير معصية .

قصة اغتيال حسن البنا

وتعتقل وزارة النقراشى كل المعروفين من الإخوان عام 1949 وكنت من بين المعتقلين . فلما قتل النقراشى بدأت وزارة إبراهيم عبد الهادى تدبر مؤامرة اغتيال الامام الشهيد لا انتقاما لمقتل النقراشى ولكنه طمأنة لفاروق حيث أن فاروق شعر أن دعوة الإخوان المسلمين تستهدفه ولا أنكر أن " مصر الفتاة " لعبت دورا فى المجال نفسه ولو طال وجود فاروق لقتل " أحمد حسين " كذلك . وقد حدث أن اتصل أحد الوزراء بالامام الشهيد فى 12 فبراير (شباط) 1949 ليلقاه فى مبنى جمعية الشبان المسلمين وهو يقع فى أرحم شوارع القاهرة وظل الامام ينتظر هناك ومعه زوج شقيقته الأستاذ عبد الكريم منصور ولما غابت الشمس ولم يف الوزير المنتظر بوعده خرج الامام والأستاذ عبد الكريم منصور واستوقفا تاكسيا وما أن استقر فيه حتى أطفئت أنوار الشوارع وأقبل اثنان أو ثلاثة من المخبين وأطلقا سيلا من الرصاص على الأستاذ ومرافقه ورغم أن إصابة الامام كانت قاتلة إلا أنه تحامل على نفسه وعاد الى جمعية الشبان المسلمين واستدعى الاسعاف بنفسه ونقلتهما سيارة الاسعاف الى قصر العيني وكانت الأوامر قد صدرت بعدم إسعاف الامام

وتركوا جراحه تنزف وقبل أن يلفظ النفس الأخير جاء فاروق الى القصر العيني شامتا ومتشفيا وبصق على الامام ففتح عينيه وقال لفاروق : مزق الله ملكك . وكانت أبواب السمكاء مفتحة فاستجاب الله الدعاء وتمزق ملك فاروق الى الأبد .

وهكذا فإن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب وقد أقسم بعزته وجلاله لينصرن المظلوم ولو بعد حين . ومع هذا الوعيد الرباني فلا يزال الظالمون في كل مراحل التاريخ لا يتعظون أو يرعون .

ما من شك أن في هذا حكمة علوية لا تدركها عقولنا القاصرة وكل ما نستطيع أن نقوله في حدود هذه العقول المخلوقة لا الخالقة أن النهار لا يعرف إلا بزوال الليل وأن الحق لا يتجلى إلا عند انتشار الباطل وأن العدل لا يعرف إلا إذا كان هناك ظلم وأن الحرية لا تعشق إلا إذا ساد قهر أو استبداد ..

لقد أفضى الامام الشهيد الى ما قدم من خير ولا نزكى على الله أحدا بعد أن ملأ طباق الأرض بدعوة الاخوان المسلمين . وما أسعدنا وأسعد حكام المسلمين يوم أن يتبنوا هذه الدعوة التي تجعل قوانينهم حكمهم أرسخ من الشم الرواسي وما ذلك على الله بعزيز .

إننا نؤكد لهم أننا أخلص جند لهم إذا ما حكمونا بشرع الله المنصف ليصبح كل منا عن أخيه راضيا . رحم الله إمامنا الشهيد بعد أن تركنا على محجة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ليلها كنهارها بعد أن أزال من فوقها غيش القرون وغفلة المسلمين .

بعد وفاة الامام الشهيد رضوان الله عليه حدث ما يحدث في كل جماعة وحزب وهل نحن إلا بشرأ حدث أن تباينت الآراء فيمن يخلفه في قيادة الجماعة فقد كان هناك المرحوم الأستاذ صالح عشاوى وكيل الجماعة وهو متخرج من كلية التجارة وكان ترتيبه الأول على دفعته ولكنه أثر العمل الحر في صفوف الجماعة على قيود الوظيفة .

وكان هناك الأستاذ عبد الرحمن البنا شقيق الامام الشهيد وهو أهل لكل مكرمة وكان هناك المرحوم الأستاذ عبد الحكيم عابدين سكرتير الجماعة وهو حاصل على شهادتى الآداب والحقوق وكان شعلة من الذكاء والحركة وخطيبا مفوها وكان هناك الأستاذ الباقورى بلباقته وعلمه وإسلوبه الأدبي .

وكان لكل من هؤلاء من يفضل انتخابه مرشدا عاما . وقد يشتد الخلاف حيناً وقد تخف حدته حيناً آخر ولكنى على الحاليين لم أكن أرى موجبا لهذا الخلاف فلم أفضل واحدا على الآخر وكنت أرى أيهم ينتخب ففى قيادته الخير . وطالت مدة الخلاف دون أن يؤثر ذلك على تمسك الاخوان بدعوتهم مترقبين مرشدهم الجديد .

وأخيرا رأى المرحوم الأستاذ منير الدلة المستشار فى مجلس الدولة والأستاذ فريد عبد الخالق وهو من رجال التدريس والأستاذ صالح أبو رقيق المستشار فى الجامعة العربية رأوا ومعهم آخرون أن يحسم هذا الخلاف برجل من رجال القضاء ليس من الاخوان ظاهرا وإن كان فى صميمهم حقيقة وصادف هذا الاختيار أهله واجتمع الاخوان فى منزل المرحوم الأستاذ صالح عشاوى وبايعت الهيئة التأسيسية الأستاذ الهضيبي مرشدا للاخوان المسلمين عام 1952.

وفضيلة الأستاذ الهضيبي كان وكيلا لمحكمة النقض وقد قرأ كتاب الفقه ويعجب بأراء ابن حزم حتى أنه قرأ المحلى كله والوسيط وكان فقيها فى الشريعة دائم الربط بين أحكامه وقواعد الاسلام وكانت حيثيات أحكامه تمتاز بالأسلوب البلاغى البديع وكانت أحكامه على الأغلب مبادئ قانونية يرتاح اليها القضاة من أقرانه .

ولقد رأيت بعينى رأسى فضيلته يحضر بعض مؤتمرات الاخوان المسلمين وأذكر أننا فى حفل بمركز شبين القناطر وكان يحضره دعيت الى القاء كلمة بدأتها بأن دعوة الاخوان المسلمين تمتاز عن غيرها بعد تجريح الآخرين أو مهاجمتهم لأننا لا نرضى لظهور دعوتنا أن يعكر صفاؤها بالنيل من أحد . بيد أن حماس الموقف دفعنى الى كلمات لا تتفق مع ما بدأت به من احتراز فإذا بفضيلته وكان إذ ذاك لا يزال مستشارا بمحكمة النقض إذا به يقول : عد الى ما كنت فيه فتنبهت الى المزلق ورجعت الى ما أخذت نفسى به .

وهنا أحب أن أقول لا متحدثا عن نفسى ولكن مقررا لحقيقة إن أسلوبى الهادىء فى الكتابة والنقاش ليس سياسة ولا مجاملة ولكنى طبعت على الرفق فى معاملتى مع الناس حتى لأعترز لمن أساء الى إذا كان فى الاعتذار ما يريح أعصابه . وبين المرشدين صور متشابهة وبينهما بعض الاختلاف فى المظهر والطباع فالامام البنا كان متحدثا بحكم عمله ومكانته ولكن الأستاذ الهضيبى كان أميل الى الصمت بحكم عمله ومكانته فالقاضى يسمع أكثر مما يتكلم . كان البنا دائم الابتسام ولكن الهضيبى فبطابع كرسى القضاء كان صارم المظهر يحمل على ترك اللجاج فى حضرته فإذا تخاصم لديه أخوان بادرهما بعبارة المعروفة عنه " إذا كنتم عاجزين عن إصلاح ذات بينكما فكيف تصلحان ذات بين الآخرين " . كان من أكثر دعائه (يارب أهلنى لطاعتك) لقد كان فضل الله عظيما على الاخوان باختيار فضيلة الأستاذ الهضيبى مرشدا للأخوان فى تلك المرحلة التى لا تحتاج الى المهاترة وتحتاج الى الصبر والى الصمود والتحمل .

لقد مرت الدعوة تحت قيادة الأستاذ الهضيبى بأقصى عواصف الظلم والاضطهاد .

فكان صموده وعزوفه عن إعطاء الدنيا من نفسه أعظم الأثر فى تماسك الاخوان إزاء تلك الرياح الهوج واحتمالهم لكل ما نزل بهم من محن عظام وخرج الاخوان من محنة 1954 أرفع الناس رؤوسا وازداد انتشار دعوتهم فى كل مكان رغم إنقطاع ما بين الشباب وقياداتهم المغيبة فى أعماق السجون .

وقد أدهش صبر الاخوان وتحملهم العذاب كل خصوم الاسلام والمسلمين الذين قرر الدارسون والباحثون منهم فى شئون المد الإسلامى أن أسلوب التعامل مع الاخوان يجب أن يتغير من العنف والشدّة الى اللين وفتح أبواب المغام الدنيوية أمامهم عليهم ينصرفون عن هذه الدعوة التى يرون أنها أخطر شىء عليهم فى هذا الوجود وبالفعل أعيد الاخوان الى وظائفهم مع حفظ درجاتهم وحكم بالتعويض للكثير منهم وأفرج عن المعتقلين وعادت مجلة الدعوة للظهور لا لأنهم أعطونا ترخيصا بها كما زعموا . فهى تصدر بالفعل منذ عام 1944 وليس هناك ما يمنع من ظهورها فى ثوبها القشيب الجديد . ولكن كل ذلك لم يجد شيئا فى صرف الاخوان عن دعوتهم وكان من المتوقع أن يطلب الأستاذ الهضيبى مقابلة فاروق للمشاركة فى إنقاذ الوطن مما كان ينحدر اليه فى جميع نواحيه ولكنه رفض خشية أن يقال عنه إنه يسعى لمقابلة ولأنه كان يرى أن وضعه كمرشد للأخوان المسلمين فوق ذلك بمراحل واسعة وهو أحرص ما يكون على هذه الكرامة التى متعه الله بها فى مراحل حياته وأخيرا استدعاه وهو لا يملك إلا أن يستجيب فذهب وخرج من تلك المقابلة وهو يصفها بأنها " مقابلة كريمة لملك كريم " ولو أنك أمعنت النظر فى تلك الكلمات الأربع لعلمت كيف كان ذلك المرشد العظيم رضوان الله عليه يزن الكلمات فى إيجاز مع إعطائها كل المعانى المطلوبة فهو قد بدأ فى تصريحه بالمقابلة الكريمة ولم يبدأ بالملك الكريم هذه واحده وفى هذه المقابلة كان محل احترام الملك وتقديره فغير عنها بأنها مقابلة كريمة وهو صادق فى قوله ولم يقل : إنها مقابلة بناءة أو خلاقه أو حلت الكثير من المشاكل ولكن ما دام الملك قد قدره واحترمه فهى مقابلة كريمة ولا شك أما وقد كان موقف الملك على هذه الصورة معه فليس من المنطق أو اللياقة أن يصفه بأنه ملك لنيم أو ما أشبه ذلك .

المعتاد فى مباشرة المستشارين لعملهم أن يبدأوه بيمين أمام الملك أو رئيس الجمهورية أو الأمير أو مالى ذلك من الألقاب وكان رجال القصر يستقبلون المستشارين الجدد قبل لقائهم للملك ليبينوا لهم مراسم اللقاء وكيف يكون الدخول والانحناء والخروج بالظهر وأنهم لا يبدأون الملك بكلام وما الى هذه التفاهات التى يحرص عليها الفارغون المتكبرون من الرؤساء والزعماء ؟.

فلما عين الأستاذ الهضيبى مستشار وذهب الى القصر مع زملائه لأداء اليمين المظهرية التى لا داعى لها على الإطلاق فى مجال القضاء ورجاله وفى يوم من الأيام كنت عاندا من محكمة بنها مع المرحوم المستشار السعيد رمضان السعيد فأخبرنى ونحن معا فى السيارة الى ا لقاهرة بالواقعة الآتية :

قال رحمه الله : ذهبت مع الهضيبى الى القصر واستقبلنا رجال التشريفه وأفضوا إلينا بالتعليمات والشكليات التى يجب أن نقوم بها عند دخولنا على الملك وعند خروجنا بعد أداء اليمين وأدينا جميعا ما طلب منا بدقة إلا حسن الهضيبى فقد تصرف تصرفات تخالف كل ما طلب منه القيام به فبمجرد دخوله بادر الملك بالسلام قائلا : السلام عليكم ففرعنا وتوقعنا أزمة لها ما بعدها وأن الهضيبى أوقفنا موقفا

مخرجاً لنا جميعاً والغريب أن الملك رد السلام في هدوء وحمدنا الله أن الموقف مر بهذه السهولة وبعد أن أدينا اليمين خرجنا جميعاً بظهورنا إلا الأستاذ الهضيبي فإنه ولي الملك ظهره وخرج من الحجرة الملكية بوجهه لا يظهره وهنا توقعنا أن السماء ستطبق على الأرض فهذه أول مرة تخالف فيها التقاليد عند مقابلة الملوك ومرت أيام وأسابيع ولم يحدث شيء وتأكدنا أن كرامة الإنسان لا يستطيع توفيرها للشخص إلا نفسه وبذاته الكرامة تنبع من دخيلة نفوس الرجال وليست الكرامة ما يفيض بها إنسان على إنسان فمن يلبي نداء الكرامة ويعف عند المغنم تحترمه الجن والانس ولو كانوا على خصومة وهكذا كان مرشدنا فضيلة الأستاذ الهضيبي في كل مراحل حياته ولست أدري أذكرت الواقعة فيما سبق أو أعرض لها لأول مرة .

الحلقة الثانية عشرة

* غنينا مع أم كلثوم في السجن الحربي تحت تهديد السلاح

* السادات اتهمني بالفتنة الطائفية ثم بإخمادها في الخطاب ذاته

* ما زلت أشك حتى الآن في ظروف مقتل الشيخ الذهبي

بتحدث عمر التلمساني عن سلفيه المرشد الأول حسنا لبنا والمرشد الثاني حسن الهضيبي بانبهار وحب ووفاء فلقد حمل المرشد الأول مسؤولية نشر الدعوة ووضع الأسس والمبادئ السلوكية والفكرية التي تسير عليها الجماعة وتحمل في سبيل ذلك الكثير من المشاق والتضحيات التي توجهها بدفع حياته ثمنا للذود عن دعواه . وتحمل المرشد الثاني مسؤولية قيادة معارك البقاء والاستمرار التي خاضها الاخوان في مواجهة الثورة فتميز بالصلابة والقوة والصبر على المكاره التي فاقت كل حد ولم تنكسر إرادته ولم يسمح للوهن أن يصيب عزيمته .. فكان مجاهدا حقيقيا قاد الاخوان في أحلك ساعات وأيام وسنوات وجودهم وكان قدوة في جلدته واحتماله أمام الآخرين .

وهذه الشهادة على عصريين لها قيمتها لأنها تجيء من المرشد العام الثالث للإخوان المسلمين الذي يتحمل اليوم مسؤولية قيادة سفينة الإخوان الى بر الامان الذي لا يعنى أبدا في نظره أى تنازل عن المبادئ التي أرساها السلف القدوة وبخاصة مبدأ تنفيذ شرع الله وتطبيقه والذي أصبح اليوم في عهد المرشد الثالث مطلبا أساسيا في برامج كل الأحزاب السياسية في مصر بما فيها الأحزاب المنبثقة عن ثورة 23 يوليو (تموز) " الوطنى والاحرار والتجمع " ، وفى هذه الحلقة يواصل الاستاذ " عمر التلمساني " حديث ذكرياته عن معارك سلفه المرشد " حسن الهضيبي " فيقول :

أم كلثوم في السجن

عندما كنا في السجن الحربي كانوا يوقفوننا صفوفاً صفوفاً نردد مع أم كلثوم " يا جمال يا مثال الوطنية " وكان يقف على أسطح مباني السجن الحربي جنود بأيديهم المدافع الرشاشة ليحصدونا حصداً لدى أية بادرة من توقف أو عصيان ! .. وفى مرة من تلك المرات طلب ضابط من فضيلة المرشد الأستاذ الهضيبي أن يضرب الأرض بقدمه بشدة وبمنتهى الاستهانة بتلك العقلية الطفولية قال له : سأضرب الأرض بشدة لأخرج بترولاً لا بطيخاً ولا شماماً .. وكما كان من المستحيل وفى مثل ذلك الموقف الخطير أن يسيطر إنسان على أعصابه

وأن يتحدث مستخفا بالعقلية التي أمامه مستهينا بخطورة الموقف ولكنه " حسن إسماعيل الهضيبي " وكفى ! .. الأنفة والشمم والصمود والاستهانة بالآخطار والثقة الكاملة بالقوى العزيز الذي لا يقع في ملكه إلا ما يشاء . إن الإنسان في دنياه بين يومين يوم قدر فيه قدره ويوم لم يقدر فيه ذلك القدر . فما الذي يخافه المسلم الصادق الإيمان . ز. يوم لا يقدر فيه قدر . لا يرهبه الإنسان لأنه في كنف من قدر المقادير . ويوم قدر فيه قدر فأين منه المفر حيث لا حذر ينجي من قدر .

ولما أفرج عن فضيلته في أوائل عهد السادات جاءه كل من كان مختلفا معه في الرأي معتذرا ومقدرا ومقدما بعض مؤلفاته وكان لقاء بينه وبينهم تأكدت فيه مكانة الأستاذ الهضيبي فكان يلقاهاهم باسماء فرحا بعودتهم الى الحق بعدما تبين لهم ولم يشر الى الماضي بكلمة . وظل الأستاذ الهضيبي رغم حل الجماعة ظل رمزا مشرفا لها وعنوانا هاديا اليها يعترف كل الاخوان المسلمين بأنه مرشدهم يرجعون اليه في الكبير والصغير من أمورهم .. وكأنما هذه الجماعة لم تحل إلا على الورق ودون تحد لقوانين البلد ودون تنظيم مشهر أو غير مشهر ظلت أمور الإخوان تسير وكأنما شيئا لم يتغير . إن الصلة بالله والحب فيه واجتماع المسلم بالمسلم وجلسهم لقراءة القرآن . ز. ومدارسته وقراءة كتب السيرة والفقه والتفسير ومدارسة أحوال الوطن والمواطنين . أمر لا يحرمه القانون بل يرعاه الدستور وإن كان رجال الأمن يتصورون أنه الخطر كل الخطر . وليس لهذا الخطر في حقيقة الواقع وجود في برامج الإخوان المسلمين وطالما قبضت أجهزة المباحث على العشرات من الاخوان لشبهة أو لأخرى . وبعد أن تحتجزهم الأيام والأسابيع في ضيافتها ويألفها من ضيافة حارة !تقدمهم للنيابة التي تأمر بالافراج عنهم بمجرد عرضهم عليها والاطلاع على ما يسمونه تهما منسوبة اليهم . إذ ترى النيابة أنه ليس في ما تقدم اليها من تحقيقات شبهة تستلزم إبقاء هؤلاء الاخوان لحظة واحدة في قبضة المباحث التي تبقيهم بعد قرار النيابة بالافراج عنهم أياما وأسابيع تسعد فيها برؤياهم في ضيافتها الكريمة .

جذور التكفير

وعندما كنا في المعتقلات وكان عذاب زبانية عبد الناصر على أشد صورة في قسوته ووحشيته تصور بعض المعذبين أن ما وقع عليهم لا يمكن أن يصدر من مسلم في قلبه ذرة من إيمان . ولكنه يصدر عن أعدى أعداء المسلمين وأفحشهم ضراوة على الاسلام . وفي غمار هذا الهول الشنيع نبتت فكرة التكفير عند بعض الشباب . وراحت تصرفات رجال السجون والمباحث تنمى معنى التكفير في عقول ذلك الشباب الذى يبيت على تعذيب ويصحو على تعذيب . دونه ما وراه التاريخ لنا عن محاكم التفتيش .. ورسخت فكرة التكفير في ذهن بعض الشباب . وآمنوا بها في إقتناع عجيب .. واتسع نطاقها في معتقل مزرعة ليما طرة حتى بلغت أخبارها فضيلة الأستاذ الهضيبي رضوان الله عليه . إذ كان معتقلا هناك فاستدعى رؤساءهم وناقشهم في الفكرة وكانت الجلسة تنتهى بما يشعر باقتناعهم بكلامه . وما إن يخرجوا من عنده حتى يعودوا لما كانوا عليه حتى ينس من إقلاعه عن تلك الفكرة فكتب كتابه " دعاة لا قضاة " مستعينا بابنه الأستاذ مأمون الهضيبي المستشار في محكمة الاستئناف العالى والأستاذ مصطفى مشهور . وكان الحق ما رآه فضيلته لأن تكفير المسلم ليس بالأمر الهين في العقيدة الاسلامية مهما بلغ المسلم في انحرافه أو قسوته ولرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى أحاديث صحيحة لا حصر لها منها : يقول معاذ بن جبل كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله ؟

قلت : الله ورسوله أعلم . قال : إن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا . وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا . قلت : يارسول الله أفلا أبشر الناس ؟؟ قال : " لا تبشرهم فيتكلموا " .

ثم حدث ما حدث مما نسب الى جماعة التكفير والهجرة وعلمه العام والخاص . وإن كنت في شك حتى اليوم في حقيقة مقتل الشيخ الذهبي رحمه الله .

وجاءنى فى عام 1973 فضيلة الشيخ " سيد سابق " وأخبرنى أن السيد " أحمد طعيمة " وكان وزيرا فى عهد السادات جاءه وأخبره أن السادات على استعداد للقاء بعض الإخوان المسلمين المعروفين لإزالة ما فى النفوس والتعاون على خدمة الوطن . وكان ذلك قبل استبعاد الخبراء السوفيات بقليل فرحبت بالفكرة . وذهبت الى فضيلة المرشد " حسن الهسيبي " الذى كان فى الاسكندرية وأخبرته بحديث الشيخ سيد سابق معى فقال لى فضيلته إن ا لفكرة لا بأس بها إن صحت النوايا عند أصحابها وكلفنى أن أستم فى المفاوضات التى سارت سيرا حثيثا وصل الى الدرجة التى طلب منى فيها لاشيخ سيد سابق - طبقا لما طلب منه السيد أحمد طعيمة - أن أقوم بتكوين لجنة من الاخوان تقابل السادات فى الاسكندرية لوضع الصيغة النهائية للإتفاق . واتصلت بالسيد أحمد طعيمة تليفونيا وأعلمته بأسماء الإخوة الذين سيقابلون السادات بناء على طلبه ثم حدث توقف تام لم أدر ما أسبابه . إلى أن التقيت بالشيخ سيد سابق مصادفة عند الأزهر وسألته عن النتائج فأخبرنى أن ا لجماعة - يقصد السادات - رأوا إرجاء الأمر الى حين . وعتبت على الشيخ سيد سابق أنه لم يخبرنى بالأمر فى حينه وهل لو لم أقابله مصادفة عند الأزهر ما كان ليعلمنى بالنتيجة . وأترك تصرف الشيخ سيد سابق وتفسيره وتبريره لفضيلته . ففعل له عذرا وأنا ألوم .

وسألت نفسى : لماذا يتخذ السادات مثل هذا الاجراء ؟ ليعلم مدى استعداد الاخوان للتعاون على ما فيه خير الوطن ؟ ربما ! . هل كان الغرض أن يعرف السادات المسؤولين فى الاخوان ؟ ربما ! وإن كنت على ثقة من معرفته لهم فى واقعة أخرى سأعرض لها . هل يريد أن يعرف إن كنا على صلة ومتراپطين وأن الاحداث لم تضعف من قوة هذا الرباط لأنه فى الله ولوجه الله ؟ جائز ! . هل كان يريد الوصول الى شىء ثم عدل عنه بمحض رايه أو أشير به عليه ؟ من يدرى ؟ ! هل يريد التأكد من حيوية الإخوان ووجودهم فى الميدان العام ؟ لعل . هل كان فى حاجة الى تأييد شعبى حينذاك ولا يجده إلا عند الاخوان ؟ هل كان يريد البطش بالإخوان فقام بتلك المناورة ليأخذهم على غرة ؟ افتراض ! وكل غرض محتمل .. هل كان يريد حقا أن يتعاون مع الإخوان لعلمه بأنهم أصلح من يؤتمنون فى كل المواقف ثم رأى أو رنى له العدول عن ذلك خوفا من سيادة الرأى القائل بتطبيق شرع الله : لم لا ؟ ، هل هى فكرة طرأت له فى ساعة تجل فلما تنبه عدل ؟ ! ما المانع ؟ . وأخيرا فطم كل ذلك عند ربى الذى يريد بعباده اليسر . المهم أن الأخوان وعلى رأسهم فضيلة المرشد كانوا فى قمة المسؤولية والتقدير عند أية بادرة من البوادر تهدف الى إصلاح هذا الوطن العزيز ..

وساطة عثمان

وفى مرة أخرى طلب منا السيد " عثمان أحمد عثمان " وقد كان وزيرا للإسكان حينذاك أن تلقاه مجموعة منا فذهبت مع الدكتور أحمد الملط والحاج حسنى عبد الباقي والأستاذ صالح أبو رقيق وقابلناه فرأى أنه من الخير أن نقدم للسادات وجهة نظرنا فى ا لإصلاح كتابة حتى يدرس الأمر فى روية وعلى مهل فكتبنا له وجهة نظرنا فى تسع صفحات فلو سكاب حملها اليه السيد " عثمان أحمد عثمان " ثم كانت لى مقابلات مع السيد محمد حسنى مبارك وكان نائبا لرئيس الجمهورية فى ذلك الحين لقيته فى منزله فى مصر الجديدة منفردا مرارا . ومعى الأستاذ مصطفى مشهور مرات أخرى لبعض استفسارات عن بعض ما جاء بتلك الصفحات التسع ثم انتهى الأمر الى صمت مطبق . وتوقفت اللقاءات . ما هى الأسباب ؟ لست أدرى . والمهم مرة أخرى هو وثوق المسؤولين بثقل الاخوان فى الشارع السياسى وأثره فى الرأى العام . وإلا فما الذى يحمل المسؤولين على مثل هذه التصرفات والذى أكدده على وجه القطع واليقين أن الاخوان المسلمين كانوا وما يزالون وسيظلون بفضل الله على مستوى المسؤولية الوطنية وأنهم أبعد ما يكونون عن التعصب وأنهم على استعداد كامل لكل حوار من ورائه رفعة شأن هذا الوطن الغالى الحبيب . ومما لا شك فيه أن هذه اللقاءات التى كانت تتم بين ا لمسؤولين تقطع ببراعة الاخوان من الخيانة والعمالة والتبعية وهى التى يقذف بها خصومهم كلما دعا داع الى هذا الهجوم والافتراء بلا دليل بل وبلا تخرج ولا تأثيم .

إننا سنظل هدفا لهذه ا لمحاولات المسمومة مرة بعد مرة . ثم { وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون } .

واستدعاني المرحوم السيد " فؤاد محي الدين " فى أوائل ديسمبر (كانون الأول) 1983 لمقابلته فى دار رئاسة مجلس الوزراء ومدير مكتبه لا يزال حيا وندعو له بالصحة وطول العمر يشهد بذلك . وكنت أظن أن الاستدعاء لأمر له أهميته واستمرت المقابلة حوالى نصف الساعة وكل ما يهم فى هذه الذكريات أن سيادته سألنى عن سيكون من جانبنا فى الانتخابات فكان الرد أن الإخوان لم يتفقوا مع أحد بعد . ولم يزد ولم أزد وقال إن هذه اللقاءات ستكرر فحدث له ذلك . وللحقيقة فقد كان الرجل رحمه الله غاية فى التلطف والرقه وحسن الاستماع . وكنت أود لو تكررت هذه اللقاءات وبهذا الأسلوب الرقيق ولكن المنية عاجلته فرحمة الله عليه وعلينا أجمعين . ولو قدر المسؤولين أن مثل هذا التصرف له أثره فى جمع صفوف الشعب لحرصوا عليه وأكثروا منه . فالمواجهة تحل كثيرا من العقد وتعين على توضيق شقة الخلاف فى رأى ولأن يناقش المسؤول مخالفه فى رأى مواجهة فذلك خير من أن ينقل إليه رأى بالواسطة .

الفتنة الطائفية

اعتقلوا الإخوان فى يناير (كانون الثانى) 1954 واعتقلت معهم فى فبراير (شباط) من العام نفسه وكانوا يخرجوننا حوالى العاشرة صباحا للشميس ويجلسوننا وبين كل أخ وأخ حوالى مترين من كل جانب . أماما وخلفا وشمالا ويمينا زوبعد أن نجلس يقف أحد الضباط يتلو تعليمات النظام فى هذه الجلسة الأرضية . ولا يزال يعلق بذهنى بعض هذه التعليمات " ممنوع الكلام " وممنوع الهمس والغمز واللمز . ممنوع الإشارات . وهكذا تمضى فترة التشميس صامتا وإن كان الإخوان لم يعجزوا عن توصيل ما يريدون من معلومات الى بعضهم بعضا .

ثم أعود لأذكر بالفتنة الطائفية التى أطلقها عهد السادات . فأذكر أن السيد اللواء نبوى إسماعيل وزير الداخلية كان يستعين بأعضاء المؤتمر الدائم للجماعات الإسلامية وكنت رئيسه .

وفى إحدى الجلسات الخاصة بالزاوية الحمراء أطلق على لقب " أمير الأمراء " وذلك أمام الأساتذة محمد الغزالى وصالح أبو إسماعيل وإبراهيم شرف وآخرين ومنحنى هذا اللقب إقرارا منه بجهودي فى القضاء على تلك الفتنة المصطنعة . ومن العجب أن السادات فى خطابه يوم 5 سبتمبر (أيلول) 1981 تناقض مع نفسه تناقضا بينا فى علاقته بتلك الفتنة المدعاة . إذ ادعى أولا أننى من مثيرى هذه الفتنة فصفق له أعضاء مجلسى الشعب والشورى . ولست أدري أى سبب يدعو الى مثل ذلك التصفيق وبعد قليل قال إن مؤتمر الجماعات الإسلامية كان له دور مشكور فى القضاء على تلك الفتنة ولست أدري هل نسي أننى رئيس ذلك المؤتمر أم اعتمد على أن السامعين من أعضاء المجلسين نسوا ما نسبته الى . ولكن كثير الكلام ينسى بعضه بعضا . والمضحك أنهم صفقوا له فى المرة الثانية كذلك ! أهى شهوة التصفيق التى كانت تريح الأعصاب ؟ أم إشعاره بأن كل ما يقوله يستحق التصفيق إعجابا وإرضاء ؟ الله أعلم .

تأديب النبوى إسماعيل !!

ويحضرنى هنا أن وزارة الداخلية بعد مقتل السادات كانت أشبه شىء بقلعة محصنة حتى أننى لما دعيت لمقابلة نبوى إسماعيل وزير الداخلية مررت من أمام أجهزة تبين إن كنت أحمل أى شىء معدنى أم لا ووجدت مدفعين رشاشين يدلان على شدة التوتر العصبى فى تلك الأيام . وفى هذه المقابلة أخبرنى أن ا لمرحوم كمال السنائيرى انتحر فى زنزانته . كما سألنى إن كنت أريد أن أنتقل الى معتقل قصر العينى أم لا ؟ .. فأجبته أن الأمر عندى يستوى هنا أو هناك . ولكنه فى عصر ذلك اليوم 12 نوفمبر (تشرين الثانى) 1981 أرسل الى ضباطا نقلونى الى معتقل قصر العينى حيث التقيت بالكثير من الزعماء وذوى الفكر فى مصر . وانصافا للرجل - اللواء نبوى إسماعيل - إننى بعد الافراج عنى بأشهر كنت فى زيارة لأحد وزراء ذلك العهد ولا يزال حيا فأخبرنى هذا الوزير أن السيد نبوى إسماعيل عارض فى اعتقالى معرضة طويلة شديدة ولم يسكت إلا بعد أن أمره السادات أن يترك هذا الأمر بالمرّة فسكت ولكن مدير سجن طره كان يخبرنى باستمرار أن السيد النائب (يقصد وزير الداخلية) كان يوصى بتوفير الراحة لى هذه الراحة التى لم أعرف لها طعاما طوال إقامتى فى

مستشفى ليمن طره وكانت الكثرة من الضباط تشدد الرقابة على الى درجة المضايقة . والقلة هى التى تعطف . وفى هذه المقابلة شكوت الى وزير الداخلية ما كان يحدث من تعذيب تحت نافذة غرفتى من منتصف الليل حتى مطلع الفجر بصورة مزعجة والصراخ الذى يتصاعد من حناجر المعذبين فكان رده إن ذلك لم يكن تعذيبا ولكن فى لوائح السجون شيئا اسمه التأديب وهو عبارة عن جلد المذنبين المخالفين للوائح السجن على (العروسة) فلم أناقشه لأنى أعلم أن التأديب ألغى من لوائح السجن وأنه كان يتم بالنهار وليس فى غسق الليل . وتسعفى ذاكرتى بأن جمال عبد الناصر جمع كل الصحف والمجلات التى فيها انتقادات لحكام المنطقة ومطالبتهم بتطبيق الشريعة الاسلامية وهى مقالات كتبت بأقلام بعض الإخوان تحريضا لأولئك الحكام على الاخوان .

أى أنه لم يكن يكفيه ما كان يفعله بالاعوان فى مصر ولكنه يطلب من سائر حكام المنطقة أن يباشروا مع الاعوان ما باشره هو معهم من التعذيب والقتل والتشريد وكان ذلك فى مؤتمر الرباط الذى عقده ملوك وأمراء ورؤساء البلاد الاسلامية فى ذلك الحين . كما افتخر فى موسكو بأنه اعتقل عشرين ألفا من الاعوان فى ليلة واحدة . إننى لا أذكر ذلك إلا تسجيلا للذكريات . فى حين أننى أدعو له بالرحمة ولكل مسلم مذنب أو عاص .

وهذا ما أوصى به كل مسلم . لا تجعلوا همكم الدعاء على الظالمين ولكن فكروا كيف تكفونهم عن الظلم . ولا ننسى أن عبد الناصر طالما انتقد (فاروق) فى إساءة استعمال اليخت (المحروسة) فلما استوى على حكم مصر كان يستعمل هذا اليخت فى نزواته البحرية بين مصر وأوربا ومعه كل أسرته وأنسبائه . وفى عهد عبد الناصر ساد شعار تفضيل أهل الثقة حتى ولو كانوا جهلاء على أهل التخصص والدراية حتى ولو كانوا أكفاء . ومن منا ينسى مجوهرات بيت آل محمد على وما أثير حولها من كلام كله اتهامات وكانت الأركان فى كل مكان وكانت محل انتقادات عبد الناصر فلما آل الأمر اليه استولى أهله وذووه وذوو الثقة عنده على تلك المجوهرات واستعملوها أسوأ استعمال .

الحلقة الثالثة عشرة

* قصة الخلاف بين عبد الناصر والاعوان المسلمين .

* عبد الناصر كان ماهرا عندما ألغى الأحزاب وأوقع الاعوان فى حيرة .

* الباقورى قبل الوزارة دون استشارة الاعوان والمرشد العام .

تراوحت العلاقة بين الاعوان المسلمين وثورة 23 يوليو (تموز) 52 ما بين المحبة الشديدة والتأييد فى البداية والعداء والمواجهة العنيفة بعد ذلك . قيل أن جمال عبد الناصر كان عضوا منتسبا لجماعة الاعوان هو والعديد من أعضاء اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار وأن الاعوان كانوا يأملون فى تحقيق أهدافهم من خلال " حركة الجيش " لدرجة أن النظام الخاص قام بتأمين المرافق العامة والبنائيات الهامة وحراستها خلال الأيام الأولى للثورة وقيل أيضا إن الاعوان هم الذين صنعوا الثورة لكن ما الذى حول التأييد الى الرفض ؟ .. ما الذى حول الحليف الى خصم ثم الى عدو ؟ هل حاول الاعوان فرض وصايتهم على الثورة ؟ هل حاول المرشد العام " حسن الهضيبى " أن يلوى زراع جمال عبد الناصر حتى يخضعه لأرادة الاعوان ؟ وهل طلب منه عدم إصدار قرار من مجلس قيادة الثورة دون الرجوع الى قيادة الاعوان ؟ .

العلاقة بين الاعوان والثورة تراجيديا لم يسبق لها مثيل .. وفى العداء يباح كل شىء ويبقى فى النهاية اجترار المرارة والألم . إنها حكاية مؤلمة طويلة يفتح ملفها الأستاذ " عمر التلمسانى " فى الحلقات المقبلة ..

الاخوان والثورة

حاول بعض الضباط الاحرار فى أواخر حكم السادات أن يكونوا حزبا منهم ومن الإخوان والأسماء موجودة وأصحابها على قيد الحياة وأنا لا أكتب للتشهير ولكن للذكرى التى تنفع المؤمنين . فقال لهم المتفاوضون معهم من الإخوان : إن مثل هذا الحزب الذى يجمع المتناقضات يبدو شيئا مجوجا وسمجا عند رأى العام بعد كل ما حصل من الضباط الأحرار فى عهد عبد الناصر من إساءات الى الإخوان . فلا أقل إذا كان يراد لهذا الحزب شىء من الاحترام أن يعلن هؤلاء الضباط الأحرار أن كل ما حدث فى عهد عبد الناصر كان أخطاء فقال المتفاوض من الضباط الأحرار - وما يزال على قيد الحياة - إن كل ما حدث من عبد الناصر قبل عام 1965 كان صحيحا وما حدث بعد ذلك كان خطأ ومعنى ذلك أنهم يقرون كل ما فعله عبد الناصر بالإخوان وعند هذا الاصرار رفض الإخوان الاستمرار فى تلك المفاوضات بعد أن ثبت لديهم أن نوايا الضباط الأحرار إزاءهم لا تزال كما هى من إقرار تعذيب الإخوان و تشريدهم .

كانت صلة عبد القادر عودة برجال " الانقلاب " أو التغيير " طيبة ظنا منه أنهم سينفذون ما تفقوا عليه ولكن لما بدا منهم ما يدل على أنهم غير جادين فى تطبيق شرع الله بدأت العلاقة تفتت بينهم وبينه .ز حتى إذا كانت مظاهرات عابدين فى فبراير (شباط) 1954 وضاق الميدان بمن فيه من المتظاهرين مطالبين بتطبيق الشريعة والافراج عن فضيلة الأستاذ الهضيبي - رحمه الله - ومن معه وفشلت كل المحاولات فى صرف تلك الجموع .

واستدعى السيد " محمد نجيب " رئيس الجمهورية آنذاك الشهيد " عبد القادر عودة " وطلب منه أن يصرف تلك الجموع وخرج الشهيد عبد القادر عودة مع السيد محمد نجيب رئيس الجمهورية الى الشرفة المطلة على الميدان وطلب من المتظاهرين أن ينصرفوا ما داموا قد عبروا عن مشاعرهم وأعلنوا مطالبهم وما هى إلا دقائق حتى بدأ ميدان عابدين وكأن لم يكن فيه من كان فيه . وهنا أحس عبد الناصر بخطورة الشهيد عبد القادر عودة على حكمة وما هى إلا ليلة أو بعض ليلة حتى قبض عليه وقدم للمحاكمة بعد حادث المنشية فى أكتوبر 1954 بتهمة العمل على قلب النظام القائم . وحوكم كل أعضاء مكتب الارشاد وصدر الحكم بإعدام فضيلة المرشد وعبد القادر عودة والأستاذ محمد فرغلى والسجن المؤبد على الإخوة المرحوم الدكتور خميس والأستاذ صالح أبو رقيق والأستاذ عبد العزيز عطية والأستاذ محمد حامد أبو النصر والسجن مع الشغل خمسة عشر عاما على المرحوم الشيخ أحمد شريت وعمر التلمسانى راوى هذه الذكريات والدكتور محمد كمال خليفة والدكتور حسين كمال الدين والمرحوم المستشار منير الدلة وبراءة الاستاذ الشيخ عبد العزيز عبد الستار الأستاذ البهى الخولى والأستاذ عبد الرحمن البنا . وسبق كل منا الى سجنه وأكثرنا من نقلنا من سجن الى سجن فأدخلت سجن مصر ثم نقلت الى سجن بنى سويف ثم الى الواحات ثم الى المحاريق ثم الى سجن أسيوط ثم سجن قنا ثم الى مستشفى ليمان طرة وفيه انتهت الخمسة عشر عاما وخرجت منه الى معتقل مزرعة سجن طرة وقضيت فيها عامين آخرين رهن الاعتقال . وبهذه المناسبة لما انتهت مدة العقوبة حضر بعض أقاربى الى باب السجن ليصحبونى معهم الى المنزل فطلبت منهم الانصراف ولك أن تتصور الصدمة التى أصابت أهل الذين كانوا فى انتظارى ليفطروا معى - إذ كنا فى رمضان - تصور حالهم وهم يتفرقون فى حسرة وحزن بعد أن صدمتهم حقيقة حكم عبد الناصر وعدالته ووفائه ورقة قلبه التى تحدث عنها أحد مشايخ الأزهر فى إحدى مقالاته الأخيرة وغفر الله لنا وله لأنه يقدم ما لا يليق بأمثاله وبدون مقابل . وكل ميسر لما خلق له .

محكمة عجيبة

كانت المحكمة التى عقدت برئاسة جمال سالم وعضوية حسين الشافعى وأنور السادات أعجوبة الأعاجيب فى دنيا المحاكم لم تكن محاكمة لأن الأحكام كانت مقررة ومعروفة قبل صدورها . ولم تكن مناقشات واستيضاحات ولكن مساهر وإهانات فقد طلب من الأخ يوسف طلعت رحمه الله أن يقرأ الفاتحة بالمقلوب . بربك هل سمعت بمثل هذه المساهر المضحكية المبكية . وكان أى متهم ينكر ما ذكر على لسانه لأنه صدر تحت إكراه التعذيب يرفع المرحوم جمال سالم الجلسة ويحيل المتهم الى رجال السجن الحربى ليرأى رأيهم فيه

فيعودون به بعد قليل عادلا عن إنكاره معترفا بما جاء فى أوراق التحقيق . ذلك لأن المتهم المسكين ظن أنه أمام محكمة حقيقية وأنه ليس امام محكمة هزلية مأساوية فإذا به والمحكمة نفسها تعيده الى الزبانية الذين يعودون به معترفا بكل ما لم تجترمه يداه . وكان جمال سالم يسأل عن بض الآيات فى سورة " العمران " وهو يقصد " آل عمران " ظنا منه بأن " آل " هنا أداة تعريف !.

هؤلاء هم الذين كانوا يحكمون علينا لا يحاكمونا . وقد نالنى أثناء المحاكمة شىء من سخریات السيد جمال سالم إذ طلبت طلبا من المحكمة فقال لى " نعم يا سى عمر " وخشيت أن يتمادى فى مداعباته الظريفة الخفيفة على سبيل تسمية الأشياء بضدها كما تقول للأحمر يا أصفر أو للأسود يا أبيض فأسرعت بالتنازل عن الطلب وكفى الله المتهمين الطلبات . كل هؤلاء كانوا يظنون أن الله غافل عنهم ولكنه يمهل ولا يهمل .

ولو علمت كيف مات جمال سالم وأخوه صلاح سالم وحزمة البسيونى وعبد اللطيف رشدى وسلومة وآخرون لأيقنت تماما أن الظلم مرتعه وخيم ولن يفلت ظالم من بين قبضات القدر مهما ظن أن حصونه مانعته من الله .

لقد أقر فضيلة المرشد " حسن الهضيبى " هذا الانقلاب أو التغيير لأن الاخوة الذين كانوا على صلة بجمال عبد الناصر كانوا يتصلون بعلم فضيلته وإشاراته وتوجيهه والدليل على ذلك أن جمال عبد الناصر لما طلب من فضيلته ترشيح عدد من الإخوان ليدخلوا الوزارة رشح الشهيد عبد القادر عودة فقالوا إنهم لا ينسجمون معه فرشح لهم الأستاذ منير دلة فقالوا إنه لم يصل بعد الى درجة مستشار فرشح لهم المرحوم الأستاذ العشماوى فقالوا إنه صغير السن فترك لهم حرية الاختيار فاخترنا الأستاذ الباقورى فقبل دون أن يستأذن المرشد أو مكتب الارشاد . وبعدان استنفذوا غرضهم من تعيينه قالوا فيه ما قالوا مما علمه العام والخاص فى مصر وغير مصر ورغم ذلك ظل يمدح عبد الناصر حتى سماه فى إحدى مقالاته " بمانح الخير ومجريه " . وهو يعلم بحكم دراسته الأزهرية - على الأقل - من الذى يمنح الخير ويجريه . أهو الخالق أم المخلوق ؟ ! ولكن ما ذا أقول ولا تزال لى معه بعض الذكريات . غفر الله لنا وله .

وبدأ عبد الناصر بحل الأحزاب بعد أن طلب تطهير صفوفها وللأسف الشديد أن الأحزاب ابتلعت الطعم ففصلت بعض أعضائها وكان تصرفا أحقق لأنها أثبتت أن صفوفها تستلزم التطهير وظن الإخوان أن هذا بدء لتطبيق الشريعة ففرحوا لذلك ولكن فضيلة الأستاذ الهضيبى بحكم فراسته ونظرته الثاقبة وبصيرته المجلوة قال للإخوان : لا تفرحوا فإن الدور آت إليكم قريبا أو بعيدا وحدث ما توقع تماما . وكانت مهارة من جمال عبد الناصر إذ ألغى الأحزاب وأوقف الإخوان موقف الحيرة بهذا التصرف وهو موقف لم تتسها الأحزاب للإخوان . فلما خلا الجو من الأحزاب وانفرد عبد الناصر بالإخوان فلم يجدوا من بأس لما حل بهم . ولكن عبد الناصر أرسل خطابا فى إبريل (نيسان) 1954 يقول فيه إن الوزارة قررت عودة الإخوان ومباشرتهم لنشاطهم وكنت فى المركز العام فاستلمته وأطلعت عليه الدكتور خميس حميدة باعتباره نائبا للمرشد . وبقي ذلك القرار عندى حتى فتشوا منزلى فأخذوه من بين الأوراق التى استنولوا عليها كلها .

ولا تنس ان عهد جمال عبد الناصر كان يتميز بالأيذاء والقضاء على الحريات ولم يرع ذلك العهد حرمة لأحد حتى رئيس مجلس الدولة الدكتور السنهورى سلطوا عليه الرعاع فاعتدوا عليه بالضرب فى المجلس لسبب واحد هو إبداء رأى يخالف رأى عبد الناصر فى الحرية كما سلطوا رعاعهم على نقابة المحامين وهتفت تلك اللبغاوات الجاهلة " فليسقط المحامون الجهلاء " إى وربى .. المحامون جهلاء .. ورعاع ذلك الحكم هم العلماء ! وكان عبد الناصر يعلم بذلك كله إذ كانت تنقل اليه الأحداث مسموعة ومرئية يستمتع بمشاهداته فى غرفة استقباله بقصر القبة الذى جعله مقره الدائم بعد أن استتب له الأمر . ونسى ما كان يهاجمه من الاسراف والفيلات وتبعه خليفته السادات فكان يزهو كالتاووس ويستحضر الورود والأزاهير من فرنسا بالطائرة يوميا والظاهرة العجيبة فى حكم عبد الناصر والسادات أنهما حرصا كل الحرص على إزالة تاريخ زعماء مصر وكأنه لم يكن لمصر تاريخ إلا ابتداء من يوليو (تموز) 1952 وليست هناك وصمة أسوأ من أن تكون مصر بلا تاريخ وهى المذكورة فى القرآن أكثر من مرة . وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على تهاوة التفكير والشعور بالنقص وإخفاء التاريخ عن الشباب حتى لا يعرفوا غيرهما فلا يكون هناك مجال للمقارنة التى قد تكون نتائجها فى غير صالحهما . ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يثبت للعالم كله فساد هذا التصرف وأضراره فأنهم رئيس الجمهورية الحالى السيد " محمد

حسنى مبارك " أن يعدل عن هذا الأسلوب الرخيص فأذن أن يعرض تاريخ الزعماء ليعرفه الشباب والطلاب وليس لنا على هذا سوى مأخذ واحد وهو إخفاء تاريخ الامام الشهيد حسن البنا والأستاذ المرشد حسن الهضيبي مع أن بصمتهما على تاريخ مصر أوضح وأبين من أن تخفيها أية محاولة لطمس معالم تاريخهما المشرق الوضاء .

علمونا أن زهرة البنفسج تميل الى التوارى ولكن عقب أريجها يدل عليها . وكذلك كان المرشدان عليهما الرحمة والرضوان . والظاهرة العجيبة فى تاريخ وزراء وزارة التربية والتعليم أنهم لا يذكرون تاريخ الرجلين مع إشادتهم واحتفالاتهم بغيرهما . فى حين أن تاريخ الرجلين أجدر بالاشادة والتاريخ من غيرهما لأن ما قدماه لم يكن مقصورا على مصر وحدها ولكنه اثر على العالم الاسلامى كله حتى فى ماليزيا وأندونيسيا والفلبين . وحسب حسن البنا أنه أيقظ الوعى الاسلامى وحسب الهضيبي قولته المشهورة " أقيموا دولة القرآن فى قلوبكم تقم على أرضكم " وبالله من عبارة جمعت فأوعت .

المباحث والاخوان

لقد نزل الأستاذ الهضيبي رحمه الله مقتديا بسلفه البنا الى القرى والساكن والكفور تبشيرا بدعوة الاخوان المسلمين رغم سنة ومرضه . وسافر الى سوريا ولبنان واستقبل عند عودته استقبالا شعبيا رائعا مما يدل على مكانته فى نفوس المسلمين . ولقد كان الأستاذ الهضيبي صارم المظهر فى المجالات العامة إلا أنه كان غاية فى الرقة والموانسة والتبسيط فى جلساته الخاصة مع الإخوان . وأذكر أنالسيد " حسن طلعت " رئيس المباحث فى ذلك العهد زار المركز العام ومما علق بذهنى من حديثه مع الأستاذ الهضيبي قوله : " إننى استطعت إيجاد عيون لى فى كل الاحزاب إلا الإخوان المسلمين فلم أستطع أن أوجد لى عينا فى صفوفهم " . ومما تعيه الذاكرة أن السيد حسن طلعت الذى أذى وضرب وعذب سلط الله عليه ضابطا من المخابرات ضربه على سلم وزارة الداخلية مقر سطوته لأنه كان يحاول إخفاء بعض الشرائط التى تمس الكثيرين والتى ادعى السادات أنه حرقها فى أحداث ما سماه بثورة التصحيح فى مايو (آيار) . وما أظنها إلا موجودة الى اليوم عند من يتخذها وقاية له من الغير إذا ما فكر هذا الغير فى إيذائه هذه الشرائط لا تزال موجودة والله وحده أعلم بما فيها مما يسىء ويضر لقد كان من دعاء الاخوان فى السجون (اللهم أهلك الظالمين بالظالمين وأخرجنا من بينهم سالمين) فكان المرشد الأستاذ الهضيبي رحمه الله يبتسم قائلا : " وأنتم لا تعلمون شيئا "

ولما كثرت إفتراءات عبد الناصر وصحفه على الاخوان المسلمين ومرشدهم وهم فى معتقلهم فى السجن الحربى لا يصرح لهم بالدفاع عن أنفسهم وهو حق من أبسط الحقوق الانسانية لما حدث هذا تمكن الأستاذ المرشد من إرسال خطاب الى جريدة " المصرى " - وكانت لا تزال تصدر فى ذلك الحين - وفى هذا الخطاب دعا فضيلته رجال الثورة الى المباله ! واحتاروا فى معنى المباله إذ لم يكونوا يعرفون عنها شيئا الى أن أخرجهم من حيرتهم فضيلة الأستاذ الباقورى فشرح لهم معناها الذى يطلب فيه المتخاصمان من الله أن يجعل لعنته على الكاذبين . ويبدو أن خروج هذا الخطاب من معتقل السجن الحربى سبب حرجا كبيرا لمديره عند رؤسائه فحضر الينا ونحن جلوس تحت ظل شجرة ثائرا وأمر بعودتنا الى الزنازين وحرماننا من طوابير الفسحة تكديرا لنا وطبعاً لم يستجب رجال الانقلاب الى هذه المبارزة . مبارزة المباله بين يدى الله من غير ما سيف ولا مزارق ولم يكن من أخلاق الهضيبي أن يبيت على ضغن لأحد حتى أنه زار إبراهيم عبد الهادى فى أحد المناسبات التى تستدعى الزيارة شرعا . وكان أحرص ما يكون على الوفاء بمواعيده إذ كان أول من يحضر جلسات انعقاد مكتب الارشاد وآخر من ينصرف منه وباستمرار .

وفى السنة التى حج فيها منحه الملك سعود هدية فلما قال لرجال القصر : إننى لا أستطيع قبول مثل هذه المنح قيل له : إن هذا الرفض سيسبب ازمة خطيرة لأن الملوك حريصون على أن هداياهم لا ترد لأنهم يعتبرون فى الرد مساسا بمكانتهم الملكية وراح رجالالقصر يلحون عليه فى قبول الهدية إنقاذاً للموقف فقبل أخيرا ولكنه أودع الهدية فى خزانة الجماعة تتصرف فيها كما تشاء .

ولم يكن يرضى لنفسه أن تكون مكانته الدينية سببا لجنى المغنم الدنيوية وحتى لا يفخر أحد مهما كان مركزه أنهم منح مسؤولا إخوانيا مبلغا من المال تحت أى مبرر من المبررات ورغم ذلك فلا يزال هناك من يتهم الاخوان المسلمين بأنهم يتاجرون بالدين !!... ألا خرسن الألسنة التى تتهم الشرفاء كذبا وافتراء .

الهضيبى والوصاية على الثورة

وفى أحد لقاءات عبد الناصر بمنير دلة رحمهما الله قال عبد الناصر : إنى أريد أن أقيم لحكمى نظاما فريدا بأزرار كهربائية فإذا ضغطت على زر قام الشعب وإذا ضغطت على زر آخر قعد الشعب . فقال له الأستاذ منير " والله طيب يا سى جمال !! كأنك تريد أن تحكم منفردا ! إن هذا لن يكون فى إمكانك " فسكت ولكنه لم ينسها له فلما بدأ فى تعذيب الاخوان كان تعذيب منير دلة مضاعفا . وليس هذا رأى الاخوان فى عبد الناصر بل إن خليفته السادات ذكر فى كتابة " البحث عن الذات " ما معناه أن عبد الناصر ما كان يطيق أن يناقشه أحد فيما يراه . ولعل هذه الدكتاتورية كانت من بين الأسباب التى أثارت حقد (الدكتاتور) على المرشد أولا ... أى أنه مسلم ويعرف حق الرعية على الراعى كما يعرف واجباتها إزاءه ولأنه رجل قانون يعرف ما له وما عليه إزاء الحاكم طبقا للقوانين الوضعية بعد السماوية ولأنه رجل مجتمع يعرف ما يليق وما لا يليق ما كان له أبدا أن يطلب من عبد الناصر كرئيس للوزارة أن يعرض عليه قرار أو إجراء يتخذه إنها إذن ليست حكومة وإنما من جانب الهضيبى إذن وصاية على الحكومة وهذا مالا يخطر للأستاذ الهضيبى على بال بأية حال من الأحوال بدليل أن عبد الناصر أختار الباقورى وزيرا للأوقاف دون أن يخطر المرشد ودون أن يستأذن الباقورى مرشده رغم ما كانت فى عنقه من بيعة ولعلها شهوة الحكم سيطرت على الشيخ فلم يستطع إفلاتا من قبضتها الزبرجدية ! مع علمه بأن طاعة المرشد فيما يحب أو يكره أمر مقرر يوم أن وضع يده فى يد المرشد يبيعه وما أظن إلا أن فضيلة الشيخ الباقورى أحس بخطورة نقض البيعة وخاصة بعد ما أصابه معنويا من دخول وزارة عبد الناصر بلا إذن أو استئذان من المرشد وما هذه الفرية فرية إطلاع المرشد على قرارات عبد الناصر قبل إصدارها إلا صورة من الاتهامات الباطلة التى ألصقها عبد الناصر وحواريوه وكتابه بالمرشد تبريرا لما فعله بالمرشد والاخوان . إن عبد الناصر لم يندم يوما على شىء فعله ولم يبك مرة رقة ورأفة ورحمة على أية ضحية من ضحاياه وما أكثر عدد الضحايا .

قانون الافساد الزراعى

إن الأستاذ الهضيبى لم يطلب من عبد الناصر أن يكون تحديد الملكية الزراعية بخمسائة فدان ولكن هذا كان رأيا له ولم يخاصم عبد الناصر أو يجادله فيه . ولم يرفض التحديد بمائتى فدان . والسبب فى ذلك أن الأستاذ الهضيبى كان يرى من الناحية الاقتصادية أن تفتيت الملكية الزراعية يضر لا ينفع لأنه يؤدى الى ضعف الانتاج وهو الأمر الذى أثبت الواقع صحته . هذا الى جانب أن الاسلام يرفض مصادرة أموال الناس أو يعطل حقوقهم فيها إلا للضرورة القصوى التى لا مفر منها لأنقاذ المسلمين وحتى تحديد الملكية الزراعية بمائتى فدان قانون لم يحترمه عبد الناصر وهو الذى أصدره - فأنزله بعد ذلك الى خمسين فدانا . ويعد أن تعهد بدفع ثمن الأراضى المصادرة لأصحابها فى فترة من الزمن فإنه لحس هذا القرار ولم يدفع مليما واحدا . وحسبك أن تعرف أن كثيرا من الملاك حدد لهم عبد الناصر معاشا شهريا فى حدود لا تزيد على خمسة جنيهات شهريا مع الإذلال الذى لا قوه فى الحصول على هذه الملايم . إنها نفسية جمال عبد الناصر فى إذلال كل ذى شأن فى مصر ولست أدري ماذا يسمى علماء النفس هذه الرغبة وإن كنت أعلم أنها نقيصة خلقية بعد ما نهانا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول " أكرموا عزيز قوم ذل " فهو لا يكتفى أن يستذل الأعزة فقط ولكنه يحارب إكرامهم والرافة بهم . ولكن العقول والطباع والأخلاق والنفسيات تتخالف بسبب مؤثرات وضغوط كثيرة يعرفها علميا المتخصصون فى علم النفس

والآن وقد تبينت الحقائق أقول وأنا مستريح الضمير إن قانون الإصلاح الزراعى أولى به أن يسمى بقانون الافساد الزراعى . لا لأنى أنكر فكرة الإصلاح الزراعى . . أبدا فقد تفتحت عيني على حياة الفلاحين وكنت أعيش بينهم .

وأنا لا أقرأ أن يمتلك مالك للأرض آلاف الأفدنة ويعيش فى بيته عيشة الترف والرفاهية فى الوقت الذى يأكل فيه الفلاح العيش الفقار وينام الى جانب بقرة ولا يجد من الملابس ما يقيه وخزات الرياح الباردة فى الشتاء . إنى أقر الإصلاح الزراعى بوسائله المشروعة لا بالوسائل المستوردة والأساليب التى تخالف شرع الله .

كان بإمكان عبد الناصر أن يصدر قانونا باقتسام المالك والفلاح لثمار الأرض عن طريق المزارعة وعنده رأى لبعض الفقهاء لا يقر تأجير الأرض ولو أن فلاحه الأرض قامت على المزارعة لكانت المحاصيل الزراعية أقرب ما تكون للإكتفاء الذاتى أو لما هجر الفلاحون الأرض للعمل فى المدن . إن الفلاح إذا علم أن ناتج الأرض له فيه حق لا يقل عن النصف مثلا فإنه سوف يبذل كل ما يستطيع لايصال هذا النصف الى أعلى مستوى يحقق له عيشة كريمة لا يشعر فيها بالتبعية والاذلال أو يصدر قانونا بمشاركة الفلاح للمالك فى الآلات الزراعية التجارية أو السولارية أو البنزينية وفى حيوانات الجر والألبان والدواجن مثلا .

لو أن شيئا من هذا حدث لما وصل ثمن البيضة الى ما يزيد على عشرة قروش وثمان الجاموسة أو البقرة ما يزيد عن الألف جنيه . إن ما ظنه عبد الناصر خيرا للفقراء وجموع الشعب أصبح نكبة على هذا الشعب المسكين فلا يأكل البيض أو لحم الضان أو الحمام أو الديوك الرومى إلا الأثرياء إياهم .

الحلقة الرابعة عشرة

***قصة تمرد الاخوان على قيادة الهضيبي وإلقائه خارج منزله**

*** عبد الناصر وافق على مفاوضاتنا مع الانجليز ثم اتهمنا بالخيانة بسببها !!**

*** أفرجوا عنى فى الليل وعندما طلبت المبيت فى السجن للصباح رفضوا !!**

تظل التساؤلات بلا نهاية عن علاقة الإخوان بالثورة .. والتاريخ لا يتم توثيقه إلا باستعراض كل وجهات النظر المعاصرة للحدث . ولعب الاخوان دورا وطنيا بارزا فى تاريخ مصر المعاصر وأيا كانت التجاوزات التى شابت ممارساتهم السياسية فإن أحدا لا يستطيع إنكار دورهم الريادى فى إيقاظ الحركة الوطنية المصرية خلال الأربعينات من هذا القرن .. ودورهم البطولى خلال معارك التحرير فى فلسطين عام 1948 .. حيث لم يكن فى استطاعة أية حركة ثورية أو وطنية تنطلق شرارتها خلال تلك الحقبة من تاريخ مصر أن تتجاهل فعالية الاخوان فى الشارع السياسى المصرى .

لقد أخذ خصوم الاخوان فرصتهم من خلال أجهزة الصحف والاذاعة والتلفزيون طوال الأعوام الثلاثين الماضية فى التعبير عن وجهة نظرهم فى الوقت الذى لم يكن فى استطاعة الاخوان الذين أودعوا فى السجون والمعتقلات أن يشرحوا وجهة نظرهم أو يستعرضوا حججهم ودفاعاتهم .

وقد باشر " الاخوان المسلمين " مسؤوليتهم النضالية فى التصدى للإحتلال الانجليزى لمنطقة قناة السويس وكانت جماعاتهم الفدائية هى صانعة أروع ملاحم الكفاح الذى مهد بعد ذلك للحصول على الجلاء من خلال المفاوضات التى جرت عام 1954 بين ممثلى الانجليز وحكومة الثورة .

يقول التاريخ إن الاخوان عارضوا اتفاقية الجلاء التى أبرمت بين بريطانيا ومصر .. ترى لماذا رفض الاخوان هذه الاتفاقية التى كانت احدى ثمرات كفاحهم المسلح :

يجيب الأستاذ " عمر التلمسانى " المرشد العام للإخوان المسلمين :

الاتصال مع البريطانيين

إن كل موقف وقفه الإخوان المسلمين كان مدروسا . وقد درس الاخوان معاهدة الجلاء وقدموا رأيهم لعبد الناصر قبل أن يعرفه أحد . وأذكر أنه كان من بين ما اعترضنا عليه في تلك المعاهدة أن في بنودها ما يلزمنا بوضع أرضنا كمراكز انقضاض أو تموين إذا ما هوجمت إحدى حليفتا بريطانيا كتركيا .

ومعنى هذا أننا قد نجر الى حرب دون أن يكون لنا فيها ناقة ولا جمل . ولو لم يكن في هذه المعاهدة إلا هذا الشرط لكان كافيا لرفضها . لقد مر على ذلك ما يقرب من ثلاثين عاما وقد كنت واحدا من بين المشتركين في وضع أسباب الرفض ولنقرأ شهادة الأستاذ الفاضل " صالح أبو رقيق " متعه الله بالصحة والعافية وحول هذا الموضوع يقول :

هوجموا بانهم يعملون ضد الثورة وأنهم عقدوا اجتماعات مع المستشار الشرقي في السفارة البريطانية لإقناعه بأن الضباط لا يمثلون الشعب في مفاوضات الجلاء .

وكننت أنا والمستشار منير دلة ممن قام بالاتصال بالمستر " إيفانز " المستشار الشرقي للسفارة البريطانية وبطلب جاءنا من السفير البريطاني عن طريق المرحوم محمد سالم السكرتير العام لوزارة المواصلات .

وعندما عرضت على فضيلة المرشد الأستاذ حسن الهضيبي رضى الله عنه وافق على هذا الاتصال من ناحية المبدأ على أن يعتبر من بريطاني أول اعتراف سياسى بنا ولكن على شرط أن يوافق جمال عبد الناصر وزملاؤه على ذلك .

وطلب الهضيبي عبد الناصر للقاء في بيته في الروضة وكانت الاتصالات التليفونية بينهما عادية في ذلك الحين . وحضر إليه كل من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وكمال الدين حسين وعرض عليهم الأستاذ الهضيبي الأمر فوافقوا على هذا الاتصال . وقال لهم إننا سنوافيكم بما يدور من مباحثات أولا بأول . وفي أول لقاء مع مستر " إيفانز " في منزل الدكتور محمد سالم في المعادى وصلت معه الى شروط لم يصل اليها مفاوض مصرى من قبل ببساطة لأنهم كانوا عازمين على الجلاء .ونقلت كل ما دار بالتفصيل لفضيلة المرشد ليقرا عليهم منه ما يرى . وحضر إليه ثانية جمال عبد الناصر ومن كان معه في المرة الأولى وقرأ عليهم التقرير بكل تفاصيله . فسروا كثيرا وأظهروا إعجابهم أو هكذا فعلوا وكنا نعطيهم علما بكل مقابلة وما دار فيها .

غدر ناصر بالإخوان

وعندما بدأت مناوشاتهم ابتداء من زيارة جمال عبد الناصر للحوامدية حيث هاجم الإخوان لأول مرة . وفي البحيرة عندما صفع وحيد رمضان أحد الإخوان في حوش عيسى بالقلم أمام الناس وشعر بذلك الانجليز وحدثني فيه المستر إيفانز على أنه خلاف فقلت له بالحرف الواحد : هذه أمور بسيطة ومتوقعة لا تصل الى حد الخلاف بيننا والذي أحب أن تعلمه أن هذه حكومة مؤيدة من الشعب جميعه وهذا ما كان عليه الحال في ذلك الحين .

وعندما شعر جمال عبد الناصر وزملاؤه بأن الثمرة نضجت أرادوا أن يخرجوا الإخوان من الصورة ليجنوا وحدهم فخر الجلاء فافتعل حادثة لنا في جامعة القاهرة بينما كان طلبة الإخوان يحتفلون بذكرى نواب صفوى رئيس جمعية " فدائيا بسلام " في إيران فأرسل لهم شردمة من المجندين وبعض شباب هيئة التحرير في سيارة جيب ومكبر صوت ليفسدوا الحفل فما كان من الطلبة إلا أن انهالوا عليهم ضربا حتى فروا هاربين وأحرقوا السيارة ونفاجأ في ذلك اليوم بعساكر عبد الناصر وضباطه يقتحمون علينا بيوتنا ويعبثون فيها تفتيشا وإرهابا للنساء والأطفال في قسوة ذهبت بكل معاني الكرامة والانسانية وسحبونا مكبلين بالحديد الى السجن الحربى ومعتقل العامرية وبعد يومين أخرجونا من الزنازين المظلمة ووزعوا علينا الصحف التى قرأنا فيها بالمانشيتات العريضة (مؤامرة الإخوان المسلمين ورجال السفارة البريطانية لقلب نظام الحكم .. الإخوان يتصلون بالحكومة الأنجليزية من خلف الحكومة) بيان من مجلس الثورة الذى

انعقد برئاسة جمال عبد الناصر يلصق بنا هذا الاتهام الخطير (الخيانة العظمى) التى معناها الاعداء . وللناس تفكير .. والله مقادير بتدبير

ولكن الله نجانا من مشانقهم بأزمة مارس (آذار) 1954 المعروفة والتى كنا لا نعلم عنها شيئا لوجودنا فى الزنازين حينذاك وفوجئنا فى السجن الحربى بوفد يرأسه جمال عبد الناصر مكونا من السادة " محمد أحمد ومحمد فؤاد جلال رحمه الله وكان وزيرا للشؤون الاجتماعية ومحمى الدين أبو العز مدير المخابرات فى القاهرة واجتمعوا بفضيلة المرشد فى زنزانته وكنا معهم وبلغنا سلامه وتحياته ويقول أنه ثبت لديه أننا مواطنون صادقون ويجب أن تخرجوا للتعاون معا على المصلحة الوطنية . وأثناء الحديث (والكلام للأستاذ صالح أبو رقيق) قلت لهم : أنتم أتهمتمونا بأخطر تهمة توجه الى مواطن وجمال عبد الناصر يعلم حقيقتها وأول عمل سيعمله بعدما نخرج هو أن ينفى عنا بنفسه هذه التهمة فلا ندخل فى مساجلات يكذب فيها بعضنا بعضا مما يعكر صفو الجو الذى نتحدثون عنه فما الحل ؟ وذهب السيد " محمد أحمد " - وهو بحمد الله حى يرزق وجاء بالحل . يخرج فضيلة المرشد ومعه الاخوان الستة الذين جاء ذكرهم فى بيان مجلس الثورة وأنا أحدهم ويأتى جمال عبد الناصر زائرا المرشد فى منزله وتعلن هذه الزيارة فى الصحف وتذاع فى الاذاعة .

60-----15

أزمة مارس 1954

وخرجنا من السجن وألغى قرار الحل ثم فوجئنا بتلك المظاهرات التى هتفت بسقوط العلم والمحامين الجهلاء ! واقتحموا على المرحوم السنهورى باشا قدس القضاء وأوسعوه ضربا وشتما وإهانة . وعلمنا أنهم سيهاجمون جريدة المصرى كذلك . وأرسلنى فضيلة المرشد على الفور الى جمال عبد الناصر لأيقاف هذه المظاهرات وعدم التعرض لجريدة المصرى لأن هذه الأفعال لا ترضينا .. وقابلت جمال عبد الناصر بمقر قيادة الجيش بكوبرى القبة ونقلته اليه ما كلفنى به فضيلة المرشد فقال لقد أوقفنا المظاهرات وسوف لا يعتدى أحد على جريدة المصرى ولا يقف أمامنا الآن إلا طلاب الإخوان فى الجامعة الذين ما زالوا يثيرون الاضطرابات فى الجامعة وأنتم ما دامت حرياتكم مكفولة لكم فما لكم والآخرين ؟

فقلت له : ما هذا الذى تقول يا سيد جمال ؟ .. هل تستطيع أن تصرح به فى مؤتمر صحفى قال : لا وعندما علمنا باشتداد الخلاف بينه وبين السيد " محمد نجيب " ذهب فضيلة المرشد وفى صحبته الدكتور محمد كمال خليفة والأستاذ محمد حامد أبو النصر وصالح أبو رقيق لمقابلة جمال عبد الناصر فى بيته المتواضع فى منشية البكرى . وقالا للمرشد إن هذا الخلاف خطير ورجاه المرشد أن يؤجل البت فيه ليومين أو ثلاثة حتى تهدأ النفوس . فقال إن ضباط الجيش ثانرون وحضر الى هنا ثمانمائة ضابط محتجين على الوضع .. وسنوجل الموضوع يومين ونحن ذاهبون الآن لمقابلة نجيب . وأرسل فضيلة المرشد المرحوم الشيخ محمد فرغلى والأستاذ سعيد رمضان للغرض نفسه الى الرئيس محمد نجيب وكان رأينا أن يأخذ فرصة للتوفيق بينهما . وكان هذا ما فى وسعنا بعد أن قص عبد الناصر أجنحة محمد نجيب باعتقال